كتاب

تحفة أولى الالباب

فى مجالس الاحباب تأليف

الشيخ محمد عبد الفتاح

غفر الله له

آمين

obeikandl.com

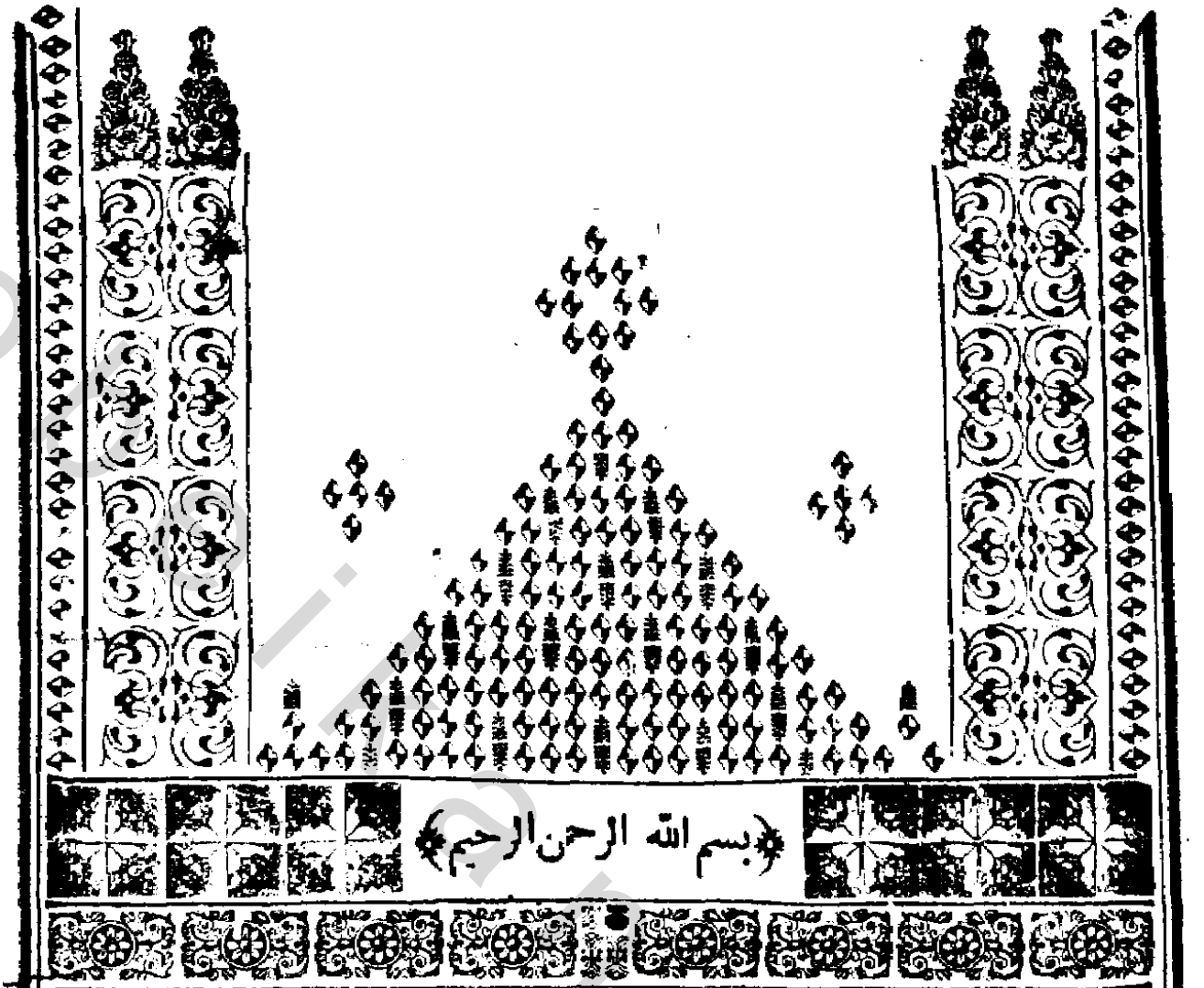

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن جعل المخاطبات نائبة عن المشاهدات وكافلة باظهار ما اخفته القلوب من المحبات فلذا أصبحت فى مباسم العالم سكره وأضحت فى عيون الخليقه جوهره وأمست الاحباب من استبشاراتها مطمئنه وباتت الاعداء من انذاراتها مستكنه وصلاة وسلاما دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار على صاحب المنارات الشرعيه وآله ذوى العقول الزكيه ما عبثت نسمات الصبا بالغصون وغردت على أيكها الاطيار (أما بعد) فيقول الراجى من الله الفلاح محمد عبد الفتاح المعلم بمدارس الارورياويه غفر له البارى ولوالديه كل خطيه لما طلب منى صديقى يقينا وظنا ورفيقى صنعة وفنا الخوجة جمس سانو النجيب صاحب المعارف والعلوم الاديب خوجة فريد السيادة وغيره حاشا صهر ولى النعم سعادة منصور باشا رسالة مختصرة مفيدة بالصواب فى ظريف المخاطبات ودقيق الآداب لما انه شاهد التلامذة لمطالعة أوجز الكتب بالفون ومداومة أسهل الصحف يرغبون مع احتياجهم الى

قانون يعرفون به أساليب المخاطبات وانموزج لطيف فى الشروط والمقاولات وما يزكى عقولهم من ظريف الاشعار والحكايات وغرائب النوادر والمجاوبات ولم يوجد فى ذلك من الكتب ما يفى بالغرض مع الاختصار ولا ما يناسب لارشاد المبتدئين الى الاستبصار فبادرت الى تأليف هذه الجملة القليله لتكون مفيدة ولغيرها وسيله وسميتها تحفة أولى الالباب فى مجالس الاحباب فجاءت بقدر تسيير السحاب تذكرة لاولى الالباب وهذا المقصد والاستفتاح مع اعاذتى بالبارى من الرياء والاستقباح وأيضا على قدر الامكان حليت جيدها بديع صاحب الاحسان والى الامم والدول الشديده ومدبر بسديد رأيه رائق الامور الفريده حامى مصر وخليفة الخليل سعادة أفندينا وراعينا اسماعيل حفظه المولى وانجاله وأبهج أيامه ونشر بالظفر أعلامه وجعل الدنيا باسرها على لوكه وبلغه الكريم مأموله ووفاه على لوكه سلالة المجد والاكابر وخليفة السعد والمفاخر وقد صارت مصر بعنايته عروسة مجليه وأصبحت بلاحظة رقته مزخرفة مسميه وأسبل على أهلها خلع الابتهاج وأنبع لهم من عيون العلوم أظرف المحتاج وكشف عن قلوبهم ران الجهل وغطاهم بحلل الكرامة والفضل فسادت بذلك جميع الامم وعجزت عن بلوغ أدنى همته كل الهمم ولاجرم انه انشأهم بها منشيه وأبدع لهم فيها درة جليه التى من لطف رسمها تجرب القلوب من شدة الانشراح ومن حسن صنع اختراعها تقر العيون من البهجة والافراح ومن طرب أشعارها فى جميع الاقطار ما تستغنى به الاسماع عن ترنمات الاوتار أدام الجليل لنا أعوامه ومنحنا الكريم كرمه واحسانه بجاه سيد العرب والعجم آمين وجعلتها خاتمة واثنى عشر باب لتسهل مطالعتها على الطلاب

﴿الباب الاول فى ذكر دقيق المخاطبات﴾

﴿الباب الثانى فى نبذة من صور الشروط والمقاولات﴾

﴿الباب الثالث فى العقل والذكا﴾

﴿الباب الرابع فى الحمق﴾

﴿الباب الخامس فى الآداب والحكم﴾

﴿الباب السادس فى ذم المزاح والامثال السائره﴾

﴿الباب السابع فى الفصاحة﴾
﴿الباب الثامن فى الاجوبة المسكته﴾
﴿الباب التاسع فيما جرى مجرى الامثال والحكم من لطيف الاشعار﴾
﴿الباب العاشر فى الغنى والفقر﴾
﴿الباب الحادى عشر فى الشباب والصحة والشيب﴾
﴿الباب الثانى عشر فى النوادر﴾
﴿الخاتمة فى نكتة تعريف زيادة النهار ونقصانه فى أيام السنة بمصر﴾

﴿الباب الاول فى المخاطبات﴾

(خطاب) الجناب الاوحد والفريد الامجد فلان شرف البارى بقاءه وبعد فقسما بأشتياق وحبى لكم الصادق وعينا بالتصافى وودى لكم الرائق ان بعدكم قد زادنى غراما وفراقكم قد أشبعنى سقاما ومازلت أستنشق نسمات الصبا من نحوكم وأتروح ريحانات الربا من حيكم فلو أسعفتمونى بالتشرف أو سمحتم لى بالتعريف لارحتم فؤادى الجريح ولقريتم طرفى القريح ومع ذلك أخبر سيادتكم العليه ما السبب فى منعكم المخاطبات البهيه فلكم أرسلت لكم جواب وما افتكرتمونى بادنى خطاب والمأمول الافاده وأيضا كذا وتضع كل ما تريده ثم تقول ودمتم محسوبكم فلان وكل جواب وخطاب مثل ذلك (جواب) الوفى الارشد والعزيز الاوحد فلان أطال البارى حياته فى أنور اللحظات أتحفتنا أرقامكم وبارك الاوقات أبهجتنا فهم ماحواه خطابكم فاستراح القلب بعد التعب وعاد آمنا وخوفه ذهب وبعد تجميع أيامكم فى الاشتياقات بعض دقائق ما عندى من الساعات وانى لودكم لحافظ ولرقيق لطفكم لملاحظ فلا أعدمنى البارى ودجنابكم ولا أحرمنى لذيذ خطابكم وانى متشرف لسيادتكم بالاعلام انى سأحضر عندكم بعد قليل من الايام ولا بدى لكم مالازمنى من العذر والباس فأنتم يقيننا من خيار الناس وأيضا كذا وكذا (خطاب) تهنئة قادم على السلامة المهاب الاديب والعالم النجيب دامت حياته وبعد فان حلولكم سر الخواطر ووصولكم قر النواظر ولما احست القلوب بقدوم المحبوب وافاها الفرح والاسعاد ولاطفها الظرف بعد الابعاد وأقبلت تتجلى بالبشائر وباحت بما أخفته السرائر وهذا جوابى أبديه

وخطابي أهديه الى من تكامل في سماء الجمال بدره وزهى بين العالم قدره فلطفه يحاكي الزهور ورقة محاسنه تخجل نسمات البكور مع أخباري لحضرتكم العليه اني ممنون بتحياتكم الزكيه وأيضا كذا وكذا (جوابه) الحبيب الصادق والخل الموافق فلان أبقاه الله وأحياه في طالع السعود الزاهر تشرفنا بهيج تسطيركم الباهر فقابلناه ببدر الدجى فزادت أنواره وقسناه بشمس الضحى فنما حسنه وافتخاره فلما امتلأ الفكر منه استحسانا وراقت النواظر رقه بهجة واحسانا علمنا ان الفرع منسوب الى أصله وقلنا لا يستغرب الشيء من شكله أبقاه الله لنا طول العمر والمدى وافنى أعداءه وأنزل بهم الردى وأيضا أخبر سيادتكم بكذا وكذا (خطاب) الوافر البهي والعاقل الذكي فلان دامت حياته بعد أهدي ما يوافق لحضرتكم يانزهة الاحداق بحبكم ان قلبي في غاية الاشتياق ومابرحت الافكار بكم مشغوله ولا انفكت الاستخبارات من نحوكم مسؤله وما كان الامل في صافي محبتكم ولا مثل هذا العشم في رائق مودتكم فكان صحبتنا معكم أضغاث أحلام واجتماعنا بكم سحابة صيف أو طيف منام وغاية الامل أخباري بما اليه تناهى حالكم ووصل وأيضا كذا وكذا (جواب) المحب السديد والصادق الفريد دامت شريف حياته بعدما أبدى لكم من أنواع الواجبات شرفتني ظريف أرقامكم المشرقات فالوجوه من حسنها أشرقت والقلوب باشاراتها استبصرت فلا قصرت لكم أنامل ولا طالت منكم الاعذاطائل ولا مؤاخذة لعدم المراسلات لانه كان لازمني أعظم الاشتغالات حتى بلغت في الشدايد السهى وفي ذلك عبرة لاولي النهى وبأذن الباري عما قريب لاتشرفن بكم وكل قريب وأيضا كذا وكذا (صورة تذكرة وليمه) لما لاحت بشائر الافراح وهبت نسمات الانشراح يدي بدر التم باهر وحيثما والت أوقات السرور وتبسمت مفتحات الزهور غدار وض البشر زاهر وعندما ازدادت التهاني وزال التواني أيقنت ان وجود مثل هذا في الدهر نادر ومذ صاحت نغمات الاوتار مبهجة ببلوغ الاوطار حنت القلوب وسرت الخواطر ووقت ما فتح المنان باجتماع الاخوان اشتاق اليكم القلب وبادر يخبر سيادتكم السنيه تشرفونا بهمتكم العليه مع الاخوان والخلان بجهة كذا بحارة كذا يوم كذا الساعة الفلانيه كي بوجودكم يكون تمام السرور ودمتم

(الباب الثانى فى كتابة الشروط وما فى معناها)

(سند) انه بتاريخ خمسة عشر يوما خلت من شهر محرم سنة ١٢٨٦ كذا قد صار الرضى والتوافق الصحيح بين كل من المستأجر والمؤاجر الآتى ذكرهما أدناه وهما بحال الصحة والسلامة الشرعية وحاضران بمجلس العقد وكلاهما ولى نفسه يتصرف كيف يشاء وهما السيد فلان بن فلان القاطن بمصر قد أجر كامل منزله الكائن بالجهة الفلانية وما احتوى عليه من أسفل وأعلا الى حضرة القاطن بمصر أيضا السيد فلان ابن فلان محلا صحيحا كامل الابواب والشبابيك والكوالين والمفاتيح خالى عن العيوب الشرعية والمستأجر ليس مصرحا له باعدام ولا تجديد شئ فى المحل المذكور واذا عدم شئ فيكون المستأجر ملزوما باعادته كما كان واذا جدد به شيأ فليس له ان يطالب صاحب المحل به وعند التسليم ليس له أخذ شئ مما جدده وعليه ان يعلم المالك بما يحصل من طارئ الخلل ولصاحب المحل التبصر فى ملكه وهذا الايجار مدة عشرة أشهر من ابتداء شهر محرم سنة ٨٦ لغاية شوال سنة تاريخه عن كل شهر مائة غرش عمله صاغ ودفع الدراهم يكون شهرا بشهر محلا اجارة شرعية بايجاب وقبول بدون اكراه ولا اجبار على كل منهما بحضور كل منهما والبينة والشهود الآتى ذكرهم يشهدون بذلك المقر بما فيه صحيح المستأجر والمؤاجر ثم تكتب أسماء البينة وتضع أختامهم ويحرر لكل واحد منهما نسخة

(صورة مبايعة)

انه بحضور البينة والشهود الواضعين أسماءهم واختامهم فيه أدناه أقر السيد فلان بن السيد فلان التاجر بالجهة الفلانية بمصر بانه قد باع الى السيد فلان بن السيد فلان القاطن بمصر أيضا عشرين قنطارا من صنف كذا بسعر القنطار الواحد كذا وصار جميع المبلغ كذا واعترف البائع المذكور بانه وصله نصف كامل المبلغ المذكور أعلاه وباقى المبلغ يكون المشترى ملزوما بدفعه بعد ثلاثة أشهر تمضى من تاريخه أدناه تحريرا فى عشرة محرم سنة كذا وتضع أسماء البينة ويحرر ورقتين أيضا

(صورة تعهد)

انه بالتاريخ الموضوع أدناه قد تعهد الاسطى فلان بن فلان الى السيد فلان بن فلان

التاجر بالجهة الفلانية ببناء جميع محله الكائن بالشارع الفلانى بالحارة الفلانية وما يلزم له من شبابيك وأبواب ودهانات وكافة ما يلزم له وذلك فى ميعاد سنة من ابتداء شهر محرم سنة ٨٦ لغاية الحجة سنة تاريخه بمبلغ وقدره ألف جنيه مصرى وقد أقر الاسطى المذكور أنه وصله من السيد فلان المذكور مقدما مبلغ وقدره مائة جنيه مصرى وباقى المبلغ يدفع له عند تسليم المحل المحكى عنه أعلاه تحريرا فى عشرة محرم سنة ٨٦ وتضع اسم صاحب المحل والشغال والشهود

(صورة وصل)

انه فى تاريخ عشر محرم سنة ٨٦ أقر الواضع اسمه وختمه فيه أدناه انه وصله من الكمترى فلان العطار بالجهة الفلانية أجرة منزل سكنى تعلق فلان مبلغ وقدره أربعة آلاف غرش عملة صاغ وذلك عن واجب من ابتدا شهر ربيع أول سنة ٨٦ لغاية جماد آخر سنة تاريخه عن كل شهر ألف غرش وتضع اسم المستلم وهذا كله تقريب للمبتدى

(الباب الثالث فى العقل والزكا)

حكى ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مر اعلى سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ماحكم به بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غيره هذا أوفق بالفريقين فعادا الى داود وقالا له ماقاله ولده سليمان فدعاه داود عليه السلام وسأله ماهو الاوفق بالفريقين فقال سليمان عليه السلام تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بها ويسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وما أعظم قول القائل حيث قال

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله وقيل ان مصر أعقل الناس صغارا وارحمهم كبارا وقيل ينبغى للعاقل ان لا يمدح امرأته حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرىء به ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك لا يكاد غيره يهتدى اليه وكان فى زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة ففى بعض الايام اتفق ان رجلا أراد الحج فاودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب منه كيسه فانكره وجحده فجاء الى القاضى اياس وقص عليه القصة فقال له القاضى هل أخبرت بذلك أحدا قبلى قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضى دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندى أموال كثيرة ورأيت أودعها عندك فاذهب وهيىء لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضى اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدها فقل له امضى معى الى القاضى اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضى واعلمه بذلك ثم ان الرجل المستودع جاء الى القاضى طامعا فى تسليم المال فسبه القاضى وطرده وكانت هذه الواقعة مما يدل على عقله وصحة فكره ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال ما أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال فى غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا فى هذا اليوم بما عولنا فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كان عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلوه فاقبل الرجل على

أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين مالم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه

(ومن الاخبار الغريبة والحكايات المريبة)

ما حكى ان رجلا مسلما احتاج واضطر الى دراهم فأتى الى أحد الصيارف ليستقرضه مائة دينار فقال له الصيرفي أعطيك مائة دينار ولكن أشترط عليك ان لا تؤخرهم أكثر من شهر فتكون مطلوبا بتأخيرهم وهي أوقية لحم من جسدك تؤديها لك فأجابه على ذلك لاضطراره واحتياجه وظنه ان لا يؤخرهم أكثر من شهر فكتبوا بينهم المكاتبات وشهدت بذلك البينة والشهود وتفرقا ثم مضى شهر ويومين ولم يرد المسلم المائة دينار الى الصيرفي وكان ذلك لعدم استحصاله عليهم فذهب الصيرفي الى المسلم وطلب منه المائة دينار والوقية اللحم فقال له المسلم لا أعطيك الا المائة دينار فقط فأبى الصيرفي ذلك ورفعوا أمرهما الى الحكام واحدا بعد واحد فمامنهم من أحد أمكنه فصل هذه القضية لاشكالها عليهم لانه ليس يمكن استسماح الصيرفي في ذلك وغير منتهي قطع أوقية لحم من الآدمي وهو حي فهذا أمر عظيم وصارا على ذلك مدة حتى ارتفعت هذه القضية الى الملك فاجلى فيها نظره وتحير فيها فكره فحاولها وامهلها الظنه ان يظفر بحكم يخلص فلم يتهيأ ذلك وكان له بنت تسمى الصنعة ففي بعض الليالي رأته بنته وهو متحير مشغول الفكر فسألته عن هذا الداعي فأبى ان يجيبها بشيء فلجت عليه السؤال فاخبرها الخبر فقالت له و يقال ملك أعجزته قضية صغيرة مثل هذه فيالك عارا الى الابد فازداد غيظه وقال لها وما أصنع قالت له غدا أفصلها لك ولوالي ماتعاطيت الاحكام قط وأنت قد أمضيت عمرك في القضايا والاحكام واشتهرت في السياسة وكمال الرياسة بين الانام قال لها وما تصنعي قالت ما أصنعه ستراه ولم تخبره بشيء فلما كان الغد بعثت الى الاغا واخبرته ان يحضر الصيرفي والمسلم أصحاب هذه القضية فلما حضرا سألتهما عن القضية فذكر الصيرفي انه اشترط على المسلم ان يأخذ من جسده أوقية لحم اذا أخر المائة دينار عن شهر واحد وقالت للمسلم ماقلت قال لها كلما حكمتيه أنا راض به ثم أقبلت على الصيرفي وقالت له ليس

لك أزيد ولا أنقص من وقية لحم قال لها نعم قالت له اقطع لك أوقية من محل ماتشاء من جسده مرة واحدة لان هذا آدمي وتعذيبه حرام واذا زادت ولو خردلة أو نقصت ولو شعيرة تقطع رأسك فتحير من أمرها وتعجب من كلامها وأطرق رأسه ساعة يتذكر مخلصة لهذا الامر فلم يجد غير ترك هذا الامر واسقاطه فقالت له مالك لا تفعل ذلك قال لها قد أسقطت حقي من الاوقية اللحم قالت له ان كنت قد أسقطت حقك فهذا الرجل لم يسقط حق تعطيله هذه المدة واذا كان كما قلت فلا بد ان تدفع له ثلاثمائة دينار أخرى زيادة مما عندك تأديبا لك على ما فعلت لاجل ان لا تفعل أمرا آخر مثله وكلا من البيعة وكاتب الشروط يدفع له مائة دينار تأديبا لهم أيضا والا توضعوا في السجن مدة حياتكم ففعلوا ولم يتأخروا عن ذلك ثم خلت سبيلهم فشهد لها بذلك جميع أهل عصرها والآن يقال في المثل حكمت الصنعة ومن أعظم ما ندر وألطف ما على البال خطر ما حكي ان أحد تجار خان الخليلي بمصر كان جالسا يوما في دكانه فأتت اليه امرأة ذات هيئة حسنة وخدم وهي تريد شراء بعض بضائع مما عنده فلما رآها عظمها وبجلها ثم سألها عما تريد فقالت له أرني ما عندك حتى أختار ما يعجبني فصار يفرجها على أعظم ما عنده من البضائع المثمنة وهي تنتخب وتسأله عن ثمن ما انتخبته فيجاوبها عن ثمنها حتى ملأت من ذلك بقجة عظيمة بلغ عظيم ثم قالت له أريد ان أفرج تلك البضائع لاهل منزلي ولكن أنت لا تعرفني حتى تأتمنني قالت له الاحسن اني أضع عندك رهنا الى غد فآتيك بثمن ما يعجب وأرد لك عين ما لا يعجب واخرجت له من عندها قرص الماس يكاد الناظر له ان لا يفارقه لشدة بهائه وقالت له ابق هذا عندك الى غد فلما رأى من هيئتها وخدمها ولنظر ما عاينه من حسن ذلك القرص لم يستوعبه عند استلامه منها بل وضعه في دولاب عنده ثم قامت المرأة وتوجهت ومضى بعد ذلك يومان ولم تحضر عنده فاشتغل فكره بذلك فنهض وأخذ القرص معه وذهب به الى أحد الجواهرجية فلما رآه الجواهرجي قال له هذا قرص مصنوع من الشمع فقال التاجر للجواهرجي امتحنه فقال انه عندي قبل ثلاثة أيام وكشفت عليه وعرفته فلما سمع التاجر ذلك تحير أمره وضاع فكره ثم ذهب الى أحد أصحابه ليستشيره كيف يكون الاستحصال على ما فقد منه من تلك البضائع وكان صاحبه هذا أحد الحكام ذوي العقول فلما قابله وذكر له ذلك قال له الاصوب عندي

ان لاتفشى هذا الامر وان تبقى هذا القرص عندى ثم تذهب الى دكانك وتنتظر المسا فاذا خلى الطريق وغلقت الدكاكين انقل جميع ما فى دكانك من البضائع وخلافها واتركها فارغة بدون قفل القفل ولاتعد اليها الا اليوم الثانى قبل الظهر لكى تراك جميع العالم ثم ادفع الدكان فتفتح بدون مفتاح وقل قد سرقت دكانى ولكن ليس متفكرا الا فى القرص المرهون عندى وكرر ذلك فيشيع الخبر فى جميع مصر فيبلغ المرأة صاحبة القرص فتحضر طامعة فى أخذ عوضه وتقول لك خذ بضائعك واعطنى قرصى فقل لها انه ضاع فترسل هى أخذ خدمها ليحضر أحدا من طرف الحاكم لكى يفصل القضية بينكما فائت الى وأنا أفعل ما سيسرك فقال سمعا وطاعة وقام من عنده وانتظر المساء ونقل البضائع ثم ذهب الى منزله وعاد الى دكانه فى اليوم الثانى كما وصاه وفعل ما أمره به فشاع الخبر وملأ مصر فى لحظة ثم بعد ساعة زمانية حضرت المرأة وبصحبتها البقجة وقالت له هاهى بقجتك بتمامها فاعطنى قرصى فأخذها وفتحها وعاين ما فيها فرآها بتمامها فدفعها فى الدكان وقال لها ان القرص فقد فى هذا اليوم ولكن لابد ان أعوضك قيمته فقالت لا أقبل الا قرصى بعينه وارسلت واحدا من خدمها فحضروا سا وذهبوا جميعا الى الحاكم وقدمنا ان الحاكم صاحبه فسألهما عن ماير يدان فذكرت المرأة قضيتها وان عنده قرصا مرهونا فى مقابلة بضائع فأتيت بالبضائع وطلبت منه قرصى فقال لى انه ضاع وقد عرض على عوضه فأبيت الا القرص فقال لها الحاكم خذى منه ثمنه اذا كان فقد فقالت لا فلما سمع الحاكم منها ذلك وقد سبق الكلام ان القرص أبقاه التاجر عند هذا الحاكم ثم نهض الحاكم وغاب وعاد بالقرص وقال لها أهذا قرصك بعينه قال نعم فعند ذلك اصفر لونها وتغيرت وأخذته ثم قال لصاحبه امض الى حالك وجازاها الحاكم على ما فعلت فهذه صفة العقل

(الباب الرابع فى الحمق)

يستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وما أحسن قول الشاعر حيث قال

وفى انجيل عيسى قد قرأنا * قصار الناس أحسنهم عقولا

وفى التوراة مكتوب بتبر * ألا لايستوى عقل وطولا

وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره فى العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والشعفة والظلم والغفلة والسهو وحكى ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمنى على الله فان الطريق يقطع بالحديث قال أحدهما أنا أتمنى على الله قطايع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطايع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ معه حمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونوا أحمقين والحمد لله على ذلك قالا نعم والحمد لله على حياتك فكان الثلاثة أحمق من بعضهم وقال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما باذن الله وعالجت الاحمق فاعياني وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والسكوت عن الاحمق جوابه كما قال الشافعى رضى الله عنه

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من أجابته السكوت

فان كلمته فرجت عنه * وان خليته كمدا يموت

(الباب الخامس فى الآداب والحكمة والحكم)

قالت الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسا بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد وقيل الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لايغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليل له وصحة النفس مستحيله من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم البخيل

حارس لنعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحيا حل البلا أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثرا بتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة غظ المسى بحسن أفعالك ودل على الجميع بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملوك صديقا من ائتمن الزمان خانه لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصير ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بوعد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لافلاطون ما الشئ الذى لا ينبغى ان يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدى الى أربع الصمت الى السلامه والبر الى الكرامه والجود الى السياده والشكر الى الزياده من ساء تدبيره أهلكه جده الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الاعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد من قرب السفلة واطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفى تفضل من كظم غيظه فقد حلم ومن حلم فقد صبر ومن صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمها الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى كلام المرء يبان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه عن القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل جميلا من عرف شانه وحفظ لسانه واعرض عن ما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فان الصمت حرز والصدق عز خير النوال ما وصل قبل السؤال من حسن صغائه وجب اصطفاؤه من غاظك فبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من بخل عماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا صنعت المعروف فاستره وان صنع اليك فانشره من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الضيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره من أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرذاءة من رجع فى هبته بالغ فى حسنه من رقى فى درجات

الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروءة ان تنسى حقالك وتذكر حقا عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يجيبه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى أوداده لاتسئ من أحسن اليك ولاتعن على من أنعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لاخيه كان حقه فيه من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم التعبره سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لاتحاجج من يذهلك خوفه ويملك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال مالا ينبغى سمع مالم يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيى مروءته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنى من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارة الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لاتشك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره

الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه
لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير أغمد
سيفك ما نابك عنه لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من
عاقل يصحبه لان كل شئ يفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر
رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح
الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من
طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين
العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الارذل هلك الافاضل
من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفا
خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ
لا يمكن رده أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر
بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كأن لم
يسلب ومن صبر على النكبة كأن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بغرامة الدواب
من زادت شهوته نقصت مروءته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص
عليه عند الجدال يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب
منامه موت في دولة وعز خير من حياة في ذلة وعجز مقاسات الفقر هي الموت
الاحمر ومسئلة الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب
فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان
تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الالباب
عمارة القلوب شر ما عجب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده
اليأس خير من التضرع الى الناس لا تسكن ضاحكا في غير عجب ولا ملشيا في غير
أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد
خاطر من أسبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه ملّه أهله الحسد
للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذي أنت
فيه استر سوءة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت
الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب

ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل صاحبك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما و يتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضر البالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباجتماع المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبتركك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاه ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر ابصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فسل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فأقلع المروآت كلها تتبع للعقل والرأى تتبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فى التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق

ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله أعلم

﴿الباب السادس في ذم المزاح وفي الامثلة السائرة﴾

قال بعض الحكماء تجنب سوء المزاح وتعمد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وقال آخر لا تمازح الصبيان فتهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فرأى جارية فراودها عن نفسها فقالت له أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال ما يرانا الا الكواكب فقالت له ياهذا وأين مكوكبها فأعجبه كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

اياك اياك والمزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل الندلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ثم اعلم ان الامثال أشرف شئ ردد به العاقل جوابه وألطف ظرف أنتجه اللبيب صوابه أمثال العرب قيل اياك ان تضرب بلسانك عنقك ان البلاء موكل بالمنطق اياك أعني فاسمعي ياجارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجتني من الشوك العنب اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون آفة المروءة خلف الوعد ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى في الشيم اجمع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو في الحريق اتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها الرياح مع السماح استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده امك رجما كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة اطلب تظفر طرف الغنى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد العبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الملامة أعقل وتوكل عند الامتحان يكرم المرء أو يهان لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا الكلام انثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد ليس الخبر كالعيان لكل قادم دهشة لكل

ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب ليست الناقة
الشكلى مثل المستأجرة لكل دهر دولة ورجال لا يضر السحاب نباح الكلاب
ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك من عتب على الدهر طال عتبه
هذى بتلك والبادى أظلم يدك منك وان كانت شلا (أمثال العامة والمولدين)
الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحا ترجع
الطير بالطير مصيادا العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة
رجولية النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر
الثقيل اذا تخفف صار طاعونا العمل للزرنيخ والاسم للنورة بدن وافر وقلب كافر
تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب جواهر الاخلاق
تغضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل ان يأخذك خذ القليل من اللئيم
وذمه ذل من لا سفيه له سلطان غشوم خير من فتنة تدوم شهر ليس لك فيه رزق
لا تعد أيامه طاعة الولاة بقاء العز عناية القاضى خير من شاهدى عدل غش القلوب
يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى
والريح فى فى كل قليلا تعش كثيرا كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس
وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كلما طار قوى جناحه لكل جديد لذة
لو كان فى اليوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة
المرء ان يكون خصمه عاقلا ان كنت ما تعمل جميلا اعمل كما يعمل معك اذا
أبغضك جارك حول باب دارك اذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله المستعجل
والبطى عند المعدية يلتقى اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله اذا
كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعة والنعش مكسر اعلم ان الميت من
أهل سقر والوادى الاحمر أكل الدقة والنوم فى الاذقة ولا دجاجة محمرة يعقبها مشقة
الرجم بالطوب ولا الهروب اذا وقعت يا فصيح فلا تصيح العدو ما يبقى حبيبا حتى
يصير الحمار طبيبا اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير أى موضع راح الحزين يلقى جنازه
بدوى مقروح لقى التمر مطروح كيف يخلى ويروح بدال لحمتك الثلاثة هات لك
شد يا شماته بعد الجوع والقله بقالك حمار وبغله تموت الحدادى وعينها فى الصيد
ترك الفضول من حسن العقول تراب العمل ولا زعفران البطالة تضارب الريح مع

الموج جاء الهم على النواتية تبيت نارا تصبح رمادا الهارب يدبرها ثوب العير ما يدفى
ثقيل واسمه صخر بن جبل ثوب عليه وثوب على الوتد قال انا اليوم أحسن من كل
من فى البلد جور القط ولا عدل الفأر جئت أصطاد صادونى حاجة لا تهملك وصى
عليها زوج أمك حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما امسينا حب ووارى واكره
وداري دار الظالم خراب ولو بعد حين ذى ماهى زمانه الا قلوب ملآنه ذى مائدة
ما يقعد عليها طفيلى هذا الخبز ماهو من البين ذكروا مصر القاهرة قامت باب
اللوق بحشايش هاذكروا المدن جاءت القرى تحجل راح هذا الزمان بناسه وجاء هذا
الزمان بغاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه رأوا حجارا راكبا حائطا قالوا
أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب رأوا
شيخا يتهجى قالوا يختم على الصراط راح الجندى وخلى خلقه عندى رزق الكلاب
على المجانين راحت على جمل وجاءت على قط قال ما الذى الشيله الا الذى الحطة
زوجت بنتى أقعد فى دراها جاءتنى وأربعة وراهما زنبور زن على حجر مسن قال
له أى شئ تريد قال ألحسك قال أنا ألحس البولاد سل المجرب ولا تسل الطبيب
سموك مسحر قالوا فرغ رمضان شئ ما نابه وتقطعت ثيابه شراء العبد ولا
تربيته صام سنة وأفطر على بصله صبرى على الحبيب ولا فقده صاحب يضر عدو
مبين صباح الخير يا جارى أنت فى دارك وأنا فى دارى ضرب الحبيب كأكل
الزبيب ضربتين فى الرأس تعمى ضرب وبكى وسبق يشتكى ضمنوا حداية
لغراب قال الكل يطير طبق وجاريه على محن بساريه طبلوا جاء عثمان يد من ورا
ويد من قدام طعامك ما جانى ودخانك أعمانى طول الغيبه وجاء بالحبيبه عزومه
حسبت عليك كل وبحلق عينيك عند الطعان يبان الفارس من الجبان غابت
السباع ولعبت الضباع قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى
كل من عودته بأكاك كلما نظرك جاع كشكار دائم ولا علامة مقطوعة كل مائة
عصفور ما يجيؤا حداية كانه خان للغير لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر من
افتكر مبتداه هان عليه منتهاه لولاك يا كمى ما أكلت يا فمى لولاك يا لسانى
ما انسكيت يا قفاى لولا الغيرة والحسد كانت عجوزة كفت بلاد لو كان فيها خير
عمارها الطير لك وعليك ما يصعب عليك لو تقطع يده وتديها من فيه طبيعة

مايخليها ماسلتك يادمعتى الاالشدتى من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من عاشر
الخمادا احترق بناره مايعرف حره من باره مارأيتك يانور حتى ابيضت العيون
ماكفاناهم أبونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه نصف البلا ولا البلا كله
ناموسه باتت على شجره أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقة
نبتك مطيتك هوعرس تاكل وتنسل لاتعايرنى ولاأعايرك الدهر حيرنى وحيرك
لاأصل شريف ولاوجه ظريف على أى شئ يقبلوك ياكسيف لاربح ثوابه
ولاخلاه لاصحابه لاتشكرن فتى حتى تجربه لاتفرح بمن يروح حتى تنظر من
يجى حبله ومرضعة وعلى كتفها أربعة وطلعت الجبل تجيب دوا للجبل من
افتكرنا بيسمينه مانسينا ياماتحت النقاب والشعريه من كل بليه والاختصار أبلغ

(الباب السابع فى الفصاحة والنباهة)

حكى ان رجلا من أهل الكوفة كان أفصح أهل زمانه وأبلغهم فى الادب والشعر نظيف
اللفظ ظريف النطق ذا هيئة وجمال وبهاء واعتدال ومع ذلك كله كانت أشغاله
معطلة وكلما توجه لشئ من الاسباب وضع عليه الحجاب حتى انه أنفق جميع ما كان
عنده ثم نزل ببغداد واكترى بها محلا ومكث مدة فى بعض الايام بينما هو يتذكر فيما
ينفعه اذ سمع بالباب طارقا فقال من ذا الذى أرجوه لى فرجا ناداه أنا فرج زن كراء البيت
فتحير وقال له انتظرنى حتى أعود لك بالدراهم ثم خرج ولم يدر اين يذهب واذا بجارية
تناديه فالتفت اليها فقالت له خذ هذا وأعطته صرة فأخذها وفتحها فاذا فيها كراء
البيت بتمامه فدفعه الى صاحب المنزل ثم عزم على انه يرمى نفسه فى مهلكة عظيمة
ليكون فيها هلاكه وكان ذلك بمدة المأمون بن الرشيد فمن قضاء الله تعالى ولطفه ان
المأمون تواعد مع أخيه المعتصم ان يجتمعا فى يوم للشراب مع الجوارى منفردين عن سائر
الندماء فعرف الفتى بذلك اليوم وعزم بالتطفل عليهما فاستعار بغلة وقباء وجبة
وزردية وسيفا ودخل الحمام وتطيب وعند طلوع الشمس توجه الى المعتصم فى بيته
وقال للحاجب عرف الامير انى رسول من عند أمير المؤمنين فأذن له بالدخول فلما
دخل قال له ياسيدى ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك أنسيت الوعد فقال
لا ولكن منتظر انتصاب النهار قال الفتى فعجل الآن أيها الامير فانه أمرنى ان لا افارقك

حتى آتى بلخ فأمر المعتصم بالركوب واسرع وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيأ من ذلك ومن لطف الفتى لم يتوهم الا انه من خواص المأمون وأخذ الفتى يحدث المعتصم وأقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فألقى الفتى نفسه من على دابته وأخذ يمشي بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيأ ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل المعتصم وأخذ الفتى بركابه وأدخله المجلس فلما استقر المعتصم في مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه وأخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا نعرف من هو فقال المأمون أخي قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي ان يحضره أحد من الناس الا من هو عديل النفس وقد أحسن ان جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره أكثر من اثنين تعطل لقيام أحدهما الى الصلاة والى ما لا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قده وعقله فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون وعاد الى مجلسه وأخذ في نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من بحر ومع ذلك يوهم المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وتارة يسميه حتى غلب على قلب المأمون وأظهر الحسد لاخيه في محبته مثل هذا الغلام وأمر المأمون باحضار المائدة فنصبت بأنواع الطعام فأكلوا ولما جلس الشراب انتقلوا وأمر المأمون باحضار الجواري من غير ستارة فحضرن وأخذن في الغناء فما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبالمغني ومتى قيل وفيمن قيل فعز في عين المأمون حتى ملأ عينه وتزايد حسده لاخيه في محبة مثله نفس الفتى بول ولم يجد للدافعة سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان أمره وحاله اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين أيديهما حتى قال المأمون لاخيه يا أبا اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط أكثر منه أدبا ولا أنظف هيئة ولا أظرف من شمائله فقال المعتصم والله ما أعلم من هو وانه جاءني مبكرا برسالة أمير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا أخي أهو كذلك فقال أي وعزة المالك فقال المأمون طفيلي ورب الكعبة وغضب وأمر الجواري بالنهوض فنهضن وأقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه المأمون وقف على رأس المجلس وأقبل بوجهه على

المعتصم وقال يا أبا اسحاق كأني بك قد أخذت في نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التي لا تحمل المزاح وما هكذا وعدتني ثم قال والله يا أمير المؤمنين ما بليت من أحد من الناس مثل ما بليت من هذا لانه دائما أبدا يعرضني لمثل هذا وأشباهه ويغربني ويوقعني في كل وزطة ثم أقبل على المعتصم وقال يا أبا اسحاق سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين الا ما أعفيتني من ملاعبتك التي لا تحمل وتؤدي الى مؤاخذة أمير المؤمنين ومازال يأتي بهذا وأمثاله حتى شك المأمون في أمره والتفت الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا أخي الا ما أعلمتني بحقيقة أمره فقال المعتصم هو كما قلت لك اني ما أعرفه ولا رأيته قط الا هذا اليوم فقال الفتى كذب اني كنت معه دهري الاطول وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي أبدا فضحك المأمون تعجبا وقال ادخل فدخل وأمره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتني فصدقه الحديث على وجهه فأعجبه من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر باعادة الجواري الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون اخبرني بأعجب ما الحقك في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما فقال نعم ثم أنشأ يقول

بينا أنا راقد في البيت متكئا * مفكرا في حصول الكد والقوت
وليس في البيت شيء ألم به * وبي من الجوع ما يدني الى الموت
اذا بصوت بباب الدار أسمعه * والاذن مصغية مني الى الصوت
ناديت من ذا الذي أرجوه لي فرجا * نادى أنا فرج زن لي كرا البيت

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها شأنه وألحقه بمراتب الخاصة وصار أقرب الناس اليه وسمي بطفيلي المعتصم ومن ذلك ما حكي ان الحجاج لما ولي العراق أمر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فأحاط بهم وسألهم من أنتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

أنا ابن من دانت له الرقاب * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي له الرقاب صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله وقال لعله من أقارب أمير المؤمنين وقال الثاني

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عن قتله وقال لعله من أشرف العرب وقال الثالث

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه * وقومها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفك رجلاه منهما * اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما أصبح رفع أمرهم الى الحجاج فأحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانى ابن فوال والثالث ابن حائك أعنى نساج فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا أولادكم الادب فلولا الفصاحة لضربت أعناقهم ثم أطلقهم وأنشد

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(وقال آخر)

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب

قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وحكى عن العزابى انه كان رجلا أعلم أهل زمانه بالغناء حاذقا لبيبا ومع ذلك كله كان يحب السياحة فاتفق له فى بعض سياحته انه مر بمدينة ذات بهجة وزخرفة وبهاء وفيها بعض الملوك فلما استحسنها وأعجبته دخلها وتحايل حتى انه قرب من الملك فلما رآه الملك استصغره واستحقره وقال له اجلس فقال اقعد حيث انا أو حيث أنت قال أجلس حيث أنت فجلس جانب الملك فشق ذلك على الملك فقال لبعض خدمه اذا خرج هذا الرجل من هنا اقتله ولكن كلمه بلسان غريب وكان الشيخ عالما به فرد عليه الجواب باللسان عينه وقال له لاى سبب يقتلنى من غير جناية فالتفت اليه الملك وقال له من علمك هذا اللسان فأنا كنت أظن ان لا يعرف هذه اللغة الا أنا وخادمى هذا قال الشيخ وما تكون هذه اللغة مع ما أعرفه من الالسن واللغات فأنا أعرف سبعين لغة خلاف اللغات المستعملة فعند ذلك عز فى عين الملك حتى ملأها لما انه شاهد منه تلك المعرفة وصار يتحدث معه ثم ان الملك بعد ساعة أمر باحضار أعظم آلات الطرب ورؤساء المغنين فجلسوا وابتدؤا فى الغناء فما من دور غيرالا والشيخ يقول ألم يكن عندكم خلاف هذا وما زالوا على ذلك حتى انهم أبدوا جميع ما عندهم من أنواع الغناء

ولم يعجبه شيء فقال الملك لا يكون أعظم من ذلك فقال الشيخ أنا أريكم كيفية الغناء المطرب ثم قام وأخرج من عنده شيأ من البوص وركبه بصنعته وضرب عليه فلما سمعه الحاضرون قام منهم من أحد الا وبكى وانتحب لشدة الطرب ثم غير ذلك النغمة وضرب أخرى فما رأوا شيأ في عمرهم أعجب من هذا الفرح والانشراح مع شدة الضحك وبعدها نقر نقرات أخر فسكروا وناموا جميعا فتركهم نائمين وتوجه الى حال سبيله فلما استيقظوا لم يجدوه فأمرهم الملك بالبحث عليه فبحثوا عليه فما وجدوه فتأسفوا لفرقته غاية الاسف فهذه صفة النباهة والاجتهاد في تعليم العلوم الرياضيات والله أعلم وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق والله الموفق للصواب

(الباب الثامن في الاجوبة المسكتة)

حكي ان الحجاج وجد مكتوبا على المنبر قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وخطب يوما فقال للناس هل تعلمون ماذا أريد ان أقول لكم قالوا لا نعلم فقال الآن لا فائدة للقول للجهلاء فاتفقوا انهم يقولوا نعلم اذا سألهم مرة أخرى فلما سألهم مرة ثانية فقالوا نعلم قال لهم حينئذ لستم محتاجين الى كلامي فاتفقوا ان جماعة منهم تقول نعلم والاخرى تقول لا نعلم فلما سألهم مرة ثالثة قالت جماعة نعلم والاخرى لا نعلم قال الذين يعلمون يعلمون ما لم يعلموا فتعجبوا من أجوبته المسكتة وحكي ان ملكا من الملوك كان جالسا ذات يوم مع سرية كان يحبها فأتى صياد بسمكة أهداها له فأمر له بمائة دينار فقالت له السرية أراك ان تخرب بيت مال المسلمين فقال لماذا قالت لأنك تعطي كل من أتى اليك بسمكة مائة دينار قال وكيف أصنع قالت حضر الصياد واسأله عن السمكة أذكر أم أنثى فان قال ذكر قل له كنت أظنها أنثى وان قال أنثى قل له كنت أظنها ذكرا فلما أحضره وسأله فجوابه انها خنثى فأمر له بمائة دينار أخرى فلما صار في الطريق سقط منه دينار فطفق يلتقطها ليأخذه فقالت السرية للملك انظر الى هذا الرجل سقط منه دينار فأخذه ولم يتركه لخدمة الملك ينتفعوا به فأحضره وسأله عن ذلك فقال له ليس ذلك حرصا مني ولكني علمت ان اسم الملك منقوشا عليه فخفت أتركه فتطأه النعال فأكون أنا المسؤل فأعجبه جوابه

وأمر له بمائة دينار أخرى والتفت الى السرية وقال لهم لولا رأيكم ما كان ذلك وقيل
ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما قضى نزهته صرف أصحابه وانفرد فقابل رجلا فقال له
من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون
الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ما ولى العراق أشر منه قبحه
الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف
من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين فضحك
الحجاج منه وأمر له بصلة وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع
قال لا تخف فانه يسبح قال أخاف ان تدركه رقة فيسجد وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه
العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره
قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد ومما حكى من الاقوال
السديدة والاخبار الفريدة عن سيدى محيى الدين بن العربى انه قال أسر غلام من
بطارقة الروم فى خلافة بنى أمية فلما صار الى الاسلام وقع الى الخليفة فسماه بشيرا وأمر
به الى الكتاب فكتب وقرأ القرآن وروى الشعر فلما بلغ احتال عليه الشيطان فغواه
فترك الاسلام واتبع هواه وهرب مرتدا الى بلاد الروم فلما أتى به الى ملك الروم وسأله
عن الداعى لدخوله فى النصرانية فقال له رغبة فيك فعظم فى عين الملك وصيره
بطريقا من بطارقته وأقطعه قرى كثيرة وهى اليوم تعرف به يقال قرى بشير
وكان من قضاء الله وقدره انه أسر ثلاثون أسيرا من المسلمين فأدخلوا على بشير هذا
فسألهم عن دينهم رجلا بعد رجل وكان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له
واصل فسأله بشير فأبى الشيخ ان يرد عليه شيأ فقال له بشير لم لا تجيبنى قال لست
أجيبك اليوم بشئ قال انى سائلك غدا فاعدل جوابا فلما كان الغد بعث اليه بشير
وأحضره وقال له الحمد لله الذى كان قبل أن يكون شئ من خلقه وخلق سبع سموات
طباقا بلا عون كان معه من خلقه فعجبا لكم يا معاشر العرب حيث تقولون ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فسكت الشيخ فقال له مالك
لا تجيبنى قال كيف أجيبك وأنا أسير فى يدك فان اجبتك بما تهوى أسخطت على ربى
وأهلكت على دينى وان أجبتك بما لا تهوى أهلكت نفسى فاعطنى عهد الله وميثاقه
وما أخذ الله عز وجل على النبيين وما أخذته النبيون على الامم ان لا تغدر بى ولا

تبغي علي باغية سوء وانك اذا سمعت الحق تنقاد اليه فقال له بشير فلك علي ما قلته من العهد والميثاق وأن لا أغدر بك واني اذا سمعت الحق أنقاد اليه قال الشيخ أما ما وصفت من صفة الله تعالى فقد أحسنت الصفة ولم يبلغ علمك ولم يستحكم عليه رأيك أكثر من هذا والله عز وجل أعظم وأكبر مما وصفت ولا يصف الواصفون صفته وأما ما ذكرت من هذين الرجلين فقد أسأت الصفة ألم يكونا يأكلان الطعام ويشربان الشراب ويبولان ويتغوطان وينامان ويستيقظان ويفرحان ويحزنان قال بشير بلى قال فلم فرقت بينهما قال لان عيسى كان له روحان فروح يبرئ بها الاكمه والابرص وروح يعلم بها الغيب وما في قعر البحار وما ينبت من ورق الشجر فقال واصل روحان في جسد واحد قال نعم قال فهل كانت القرية تعرف موضع الضعيفة منهما أم لا قال بشير قاتلك الله ما ذا تريد تقول اذا قلت انها تعلم أو ان قلت انها لا تعلم قال ان قلت انها تعلم قلت فما هذه القرية لا تطرد عنه هذه الآفات وان قلت انها لا تعلم قلت كيف تعلم الغيوب ولا تعلم روحا في محل واحد فسكت بشير فقال واصل بالله هل عبد ثم الصليب مثالا لعيسى بن مريم انه صلب قال نعم قال نبرضا منه أم بسخط قال هذه أخت تلك ما ذا تريد تقول ان قلت برضى أو بسخط قال ان قلت برضى منه قلت فما أنتم من قوم أعطوا ما سألوا وأرادوا وان قلت بسخط قلت فلم تعبدون ما لا يمنع عن نفسه قال بشير والضار النافع ما ينبغي لمثلك أن يعيش الا في النصرانية أراك رجلا قد تعلمت الكلام وأنا رجل صاحب سيف ولكن آتيك غدا بمن يخزيك الله على يديه ثم أمره بالانصراف فلما كان الغد بعث اليه فلما دخل عليه اذا عنده قس عظيم اللحية فقال له بشير ان هذا رجل من العرب له حكم وعقل وأصل في العرب وقد أحب أن يدخل في ديننا فكلمه حتى تنصره فسجد القس لبشير وقال قد جئتك بما أتيت الا بالخير وهذا أفضل ما أتيت به الى ثم أقبل على الشيخ وقال له ما أنت بالكبير الذي ذهب عنه عقله وتفرق عنه حكمه ولا أنت بالصغير الذي لم يستكمل عقله ولم يبلغ حلمه غدا أغطسك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك قال له فما هذه المعمودية قال ماء مقدس قال من قدسه قال القس أنا قدسته والاساقفة من قبلي قال فهل كان لكم ذنوب وخطايا أم أنتم مبرؤن من النقص قال نعم انها لاكثر من ذلك ولا يسلم من الذنوب والعيب الا الله تعالى قال وهل يقدس الماء من لم يقدس نفسه فسكت القس

ثم قال انى لم أقدسه قال فكيف كانت القصة اذا قال انها سنة عن عيسى قال الشيخ
فكيف كان الامر اذا قال ان يحيى بن زكريا أغطس عيسى بالاردن غطسة ومسح
له رأسه ودعا له بالبركة قال الشيخ واحتاج عيسى الى يحيى أن يمسح له رأسه و يدعو له
بالبركة قال نعم قال فاعبدوا يحيى خير لكم من عيسى فسكت القس واستلقى بشير على
قفاه من شدة الضحك وقال للقس قم أخزاك الله دعوتك لتنصره فاذا أنت قد أسلمت ثم
ان الشيخ بلغ أمره الى الملك فبعث اليه فلما حضر عنده قال له ما هذا الذى بلغنى عنك
من تنقيصك لدينى و وقيعتك فيه قال الشيخ ان لى دينا كنت ساكتا عنه فلما سئلت
عنه فلم أجد بدا من الذب عنه قال وهل فى يدك حجة قال ادع لى من شئت حتى يحاورنى
فان كان الحق فى يدى فلم تلومونى فى الذب عن الحق وان كان الحق فى يدك رجعت
الى الحق فدعا بعظيم النصرانية فلما دخل عليه سجد له الملك ومن عنده أجمعون فلما
استقر بهم المجلس قال الشيخ أيها الملك من هذا قال رأس النصرانية الذى تأخذ
النصارى عنه دينها قال فهل له من امرأة أم هل له من ولد أم هل له من عقب فقال هذا
أزكى وأطهر من أن يدنس بالنساء أو أن ينسب اليه الولد و يدنس بالحيض فهو أزكى
وأطهر من هذا كله قال فأنتم لا تنكرون ان الآدمى يكون منه ما يكون من بنى آدم من
الغائط والبول والنوم والسهر وتأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء اليه وتزعمون
ان رب العالمين سكن ظلمة البطن وضيق الرحم ودنس بالحيض قال القس هذا
شيطان من شياطين البحر رمى به اليكم فأخرجوه من حيث جاء فأقبل الشيخ على القس
قال ان كنتم عبدتم عيسى بن مريم لانه لا أب له فضموا آدم الى عيسى حتى يكون لكم
الهان اثنان وان كنتم عبدتموه لانه أحيى الموتى فهذا حزقيل من بيت تجدونه فى
الانجيل ولا تنكرونه فدعا الله عز وجل فأحياه له حتى كلمه فضموا حزقيل مع عيسى
وآدم حتى يكون لكم ثلاثة آلهة وان كنتم انما عبدتموه لانه أراكم المعجزات فهذا يوشع
ابن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس فقال لها ارجعى فرجعت اثنى عشر برجا باذن
الله فضموا يوشع أيضا حتى يكونوا أربعة وان كنتم انما عبدتموه لانه عرج الى السماء
فمن ملائكة الله عز وجل مع كل نفس اثنان بالليل واثنان بالنهار يعرجون الى السماء
مالوذهبنا نعدهم لا التبست علينا عقولنا وأخلط علينا ديننا وما زادنا فى ديننا الا تحيرا
ثم قال أيها القس اخبرنى عن رجل يحل به الموت أهون عليه أم القتل قال القتل

قال فلم لم يقتل عيسى بن مريم أمه بل عذبها بنزع الروح فان قلت انه قتلها فما برأمه في قتلها وان قلت انه لم يقتلها فما برأمه في تعذيبها بنزع النفس قال القس اذهبوا به الى الكنيسة العظمى فانه لا يدخلها أحد الا تنصر قال الملك اذهبوا به أيضا قال لماذا أذهب الى الكنيسة ولا حجة على أدحضت حجتي قال الملك لا يضرك شيء اغما هو بيت من بيوت الله تعالى تذكر فيه ربك قال اذا كان كذلك فلا بأس فذهبوا به الى الكنيسة فلما دخل فيها وضع أصبعيه في أذنيه ورفع صوته بالأذان فجزعوا لذلك جزعا شديدا وصرخوا وكتفوه وأتوا به الى الملك فقالوا أيها الملك أحل بنفسه القتل فقال أيها الملك أين ذهبوا بي قال الى موضع تذكر فيه ربك قال قد دخلته وذكرت ربي بلساني وعظمته بقلبي فصنعوا بي كما ترى فان كان كل ما ذكر الله في كنايسكم صغر اليكم دينكم فزادكم الله صغارا قال الملك صدق فما لكم عليه سبيل قالوا لا نرضى حتى نقتله قال ان قتلتموني فبلغ ذلك ملككم وضع يده في قتل القسيسين والاساقفة وخرب الكنايس وكسر الصلبان ومنع النواقيس قالوا أو يفعل ذلك قال لا تشكوا فيه فتفكروا في ذلك فتركوه قال الشيخ أيها الملك بما على أهل الكتاب على أهل الاوثان قال لانهم عبدوا ما عملوه بأيديهم قال فهذا أنتم عبدتم ما عملتم بأيديكم هذه الاصنام التي في كنايسكم فان كان في الانجيل فلا كلام لنا فيه وان لم يكن في الانجيل فما أشبه دينكم بدين الاوثان قال صدق هل تجدونه في الانجيل قال القس لا قال فلم تشبهوا ديني بدين أهل الاوثان قال فأمرهم بتبييض الكنايس فجعلوا يبيضونها ويبكون ويقولون هذا شيطان من شياطين العرب قال القس أخرجوه من حيث جاء ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم فيفسد عليكم دينكم فوكلوا به رجلا فأخرجه من حيث جاء ووضع الملك يده في قتل القسيسين والبطارقة والاساقفة حتى هربوا الى الشام لما أنه لم يجد أحدا يحاجه والله الموفق للصواب

(الباب التاسع فيما جرى مجرى الامثال من رقيق الاشعار وحسن الخلق والحسن والمحاسن وما أشبه ذلك في سيد الخلق صلى الله عليه وسلم)

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء
الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فأنت صديقى
ان العدو وان أبدا مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
اذ املك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه
اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثابت الجنان
اذا كنت لا ترضى بما قدر * فدونك الحبل به فاختنق
ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلم تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرايد
اذا حسناتى الاتى أتيت بها * عدت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر
اخوان صدق ما رأوه بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأيسر ما يمر به الوحول
ألم تر أن المرء تدوى عينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره
اذا أنت حملت الحزن أمانة * فأنك قد أسندتها الى مسند
أساءت اذا أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان
خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فأين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجربى
دعنى انهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه
سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم أننى نعم الصديق
ضاقت ولو لم تضق لما افترجت * والعسر مفتاح لكل يسر
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
غنى بلادين عن الخلق كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع
كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فأين الفرار
كأنك من كل النفوس مركبا * فأنت الى كل الانام حبيب
لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لو أن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان ما بى فى صخر لاثر فيه * فكيف يحمله خلق من الطين
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد له جنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لابد لنا من شربه
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال
هنيئا لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا

هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوابا لباب الاحمق
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأى الذى لا يأمن الدهر أقتدى
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على إجيف الكلاب
ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا جزاء من بات ضيف الضفادع
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رزايا ولكن ما لهن دوام
وأحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا اتضعضع
* ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *
لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر
لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
لا تنظرن الى امرئ ما أصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لا يسكن المرء فى أرض يهان بها * الا من العجز أو من قلة الحيل
لا أسأل الناس عما فى ضميرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى
يفر من المنية كل حى * ولا ينجى من القدر الحذر
يريك الرضى والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
يفارقنى من لا أطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لا أريده
يزيد تفضلا وازداد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى *
يهون علينا أن تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول
يعز الفتى مر الليالى سليمة * وهن به عما قليل غوادر
يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

(وماقيل فى الشعر للمتنبى)

لبسن الوشى لامتجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفف فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا زال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(وقال آخر)

تحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه و ينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر)

محكم أعطافه فى قتل صب ماغوى * فاعجب لعادل قده فى النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر)

ولم أنس ضمى للحبيب على رضى * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن والسمر)

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرئ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهال وغيرى يركب الفيلا

(قال المأمون)

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

(وقال آخر)

فاستحسنوا الخال فى خدفقلت لهم * انى عشقت مليحا كامخال

(وحكى) الاصمعى قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بافتى كيف يصنع

(فكتبت تحته)

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

(فكتبت تحته)

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(وقد كتب قبل موته)

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وقال آخر)

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فنالى من يديه خلاص

جرحت بعينى خده وهو جارح * بلحظيه قلبى والجروح قصاص

(قال آخر)

سألتها التقبيل فى خدها * عشرا ومازادفهو احتساب

فذ تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العد وضاع الحساب

(وقال آخر)

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لايكون الى الحشر

اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوا الحسران العاشقين لفى خسر

(وقال آخر)

سقى الله ربعا كنت أحظى بوجهكم * وثغرالهنى فى روضة الحسن ضاحك

أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر)

وقائلة مابال دمعك أبيض * فقلت لها ياعلوه هذا الذى بقى

ألم تعلمى ان البكاء طال عمره * فشابت دموعى عند ماشاب مفرقى

وعما قليل لادموع ولادما * ولم يبق الالوعتى وتحرقى

(غيره)

قلت يامن جفونى اذا لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه

أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال آخر)

قالوا أترقد إذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى

ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * انى أعذبه بالدمع والسهر

قال حكيم فى ذم الخمر اياك وأخو النبيذ فبينا أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم أقل جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وقال آخر)

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(والله أعلم)

(الباب العاشر فى الغنى والفقر)

قال العباس رضى الله عنه الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطأه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب ان حضر أزدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال الشاعر

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال حكيم لابنه شيآن لو حفظتهما فلا تبالى ما ضيعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك

(وقال آخر)

عز النفس الغنى والغنى هو القنوع والقنوع كنز لا يفنى ومن أكثر من ذكر الموت هانت عليه الامور ورضى من الدنيا بالميسور وقال بزرجمهر أكلت

الصبر وشربت المر فلم أجد أمر من الفقر ونظرت فيما يزل العزيز ويكسر القوى ويضعف الشريف فلم أر أذل من ذى حاجة وفاقة وحكى ان رمالا ماهرا كانت له بساتين وأملاك فاتفق انه كان يوما ناظرا من بعض شبابيكه على بستان له فرأى رجلا زبالا نائما تحت سجرة فأخذ عليه طالعا وضرب تخت رمل واستولد البنات من الأمهات ورتب أشكال المنطقة فظهر له من ذلك ان هذا الرجل سيصير صدرا أعظم فامتحن الاشكال ثانيا وثالثا وهى تخرج كالاول فاستحضره وأكرمه وبشره بذلك فقال الزبال ومايكون الصدر الاعظم قال رئيس الوزرا قال له أما وجدت أحدا فى هذه الساعة تستهزئ به وتسلى كدرك عليه غيرى قال الرمال ماقلته لك فهو حق وانى راج منك ان تتذكرنى اذا صرت كما قلت لك ثم انصرف الزبال وذهب ليأخذ زبالة من بيت الدفتدار فقالت له الفراشون أما تريد تغسل معنا القناديل هنا وتترك صنعة الزبالة فأجابهم على ذلك ومكث معهم أياما فوجدوه نبيها فرقوه ثم ان الدفتدار رأى ليلة سرايته منظومة عن عادتها وكان منشرح الخاطر فسئل عمن فعل ذلك فقيل له فلان وهو الزبال فاستحضره وأمره أن يكون شيخا على الفراشين وأمرهم بطاعته ثم بعد قليل من الايام مات وكيل الدفتدار فولاه موضعه ثم سافر مع الدفتدار الى بغداد وأقام بها مدة وذلك الوكيل يجرى الاحكام بين الرعية بالنيابة عن سيده على غاية الاستقامة ونهاية العدالة والدفتدار مشتغل بما هو من شأن الحكام فقدر أن الدفتدار المذكور مات فكتب عظماء البلد وكبراؤها وجماهيرها الى الملك الاعظم والسلطان الافخم يعزونه فى موت الدفتدار ويخبرونه بكمال عدل الوكيل وحسن حالته ونباهته ويرغبون فى توليته عليهم فرغب الملك فى استحضاره عنده وان يكون من أحد وزرائه واخصاء ندمائه فلما مثل بين يديه رآى منه منظرا بديعا وخلقا رفيعا وعقلا بارعا وجمالا رائعا فحظى لديه واتخذه من أخصائه ومكث على ذلك الى ان مات الصدر الاعظم فولاه مكانه ثم جعله عاملا على مصر فعلم بذلك الرمال فذهب ليهنيه فوقف على الباب متحيرا كيف يستأذن عليه فى الدخول فرآه الصدر الاعظم فطلبه وضربه خمسين سوطا ثم ان خادمه احتمله على بغلته وتوجه به الى منزله فلقيه فى الطريق بعض خدمته فلما خبره ان الوالى أرسل له كل ما يحتاجه المنزل من فروشات وزخرفات ومأكولات وما أشبه ذلك فتعجب لذلك وقال لعله يكون ما عرفنى ثم انه عاد

اليه فى اليوم الثانى لما رآه قام له والحاضرون وعظموه غاية التعظيم فزاد عجبه وسأله عما جرى بالامس فقال له فعلت ذلك لحكمة ستعلمها وهو انى رغبت ان أولّيك جملة من أعمالى وأجعلك رئيسا على عمالى فأردت أولا ان أذيقك خرارة السوط والفلقة ليكون لك بالناس رقة وشفقة فان من ذاق عرف ومن تواضع رقى الغرف ثم صار من خواصه فانظر الى السعادات وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسوا الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

ومن لطائف الحكايات وغرائب العبارات ما اتفق لاخوين أحدهما غنى والآخر فقير وكان الفقير خادما للغنى وفى بعض الايام ذهب الغنى الى مسجد ليصلى وكان معه جراب فيه جملة من الدنانير فصلى ونسيه ثم انه لما وصل الى منزله تذكره فقال لاخيه اذهب الى الجامع الفلانى وائتنى بالجراب من الموضع الفلانى منه لانى نسيته هناك فقال أما دخل المسجد غيرنا قال له اذهب كما قلت لك فذهب الى المسجد فلم يجده غير انه سمع من يقول له ماذا تريد فالتفت يمينا ويسارا فلم يجد أحدا فقال من أنت قال أنا سعد أخيك قال وأين الجراب قال هاهو فأخذه وما رأى شخصه فقال وأنا من لى بالفتى فقال ان غناك يكون فى الشام فائتى مسرعا الى أخيه وأعطاه جرابه وطلب منه بعض دراهم ليسافر بها فأبى أن يعطيه شيأ ما ثم سمعت بذلك امرأة أخيه فأعطته ما يكفيه فى سفره بدون علم زوجها فأخذ الدراهم وسافر الى الشام فخدم أحد تجارها ولما دخل منزله وجد فى صحن الدار ماء كثيرا من المطر فأراد أن يظهر همته فأخذ عودا وصار يبحث فيه على مصرف لهذا الماء فعثر فى مصرف بوسط الحوش ورأى بجانبه جنزيرا من النحاس فجذبه فوجد باب طبقة وفيها درج ولكن الماء منصرف الى جهة أخرى فنزل على السلم فوجد من الاموال ما لا يحصى ولا يعد وهى مثل كيمان القمح كل صنف مخبر عن الآخر فقال فى نفسه انه لصاحب المنزل ولا بد أن تعلمه بذلك فذهب وعرفه عنه فقال أرنى اياه فتوجه معه وعاينه فرآه شيأ كثيرا ولكن لسعد الخادم كان السيد عفوفا فقال له ان هذا قسمتك وما بعثت به عن أبى ولا جدى فذهب الخادم واكترى محلا ونقل جميعه بمعرفته وأتى الى مصر فالتزم النحاس كله وصار يبيع كما يريد لكونه لم يوجد عند غيره وكان فى موضع ما يبيع سقف قريب من الارض وكان قديما فقام مرة بعجلة فدقت رأسه فيه فأخذ قادوما

وضرب

وضرب السقف فسقطت منه قطعة فتبعها الذهب مثل عين الماء فجمعه ثم
ان أخيه علم بذلك فطلبه عند الحاكم على انه لقى خبيئتين فلما ذهب عند الحاكم
كان الوقت ممسيا فبات فى السجن وقام فى الليل ليبول فوجد حلقة فسحبها
فاذا هى معلقة بسبع زلم مملوءة من الذهب ومكتوب عليها اسمه فلما أصبح
الصباح وطلبه الحاكم وسأله عن الخبيئتين قال انهم ثلاثة قال الحاكم كيف
ذلك ألقيت الثالثة هنا قال نعم قال أرنى اياها فأخذه وفرجه عليها فوجده مكتوبا
عليها اسمه وان لا يشاركه أحد فقال الحاكم خذها ولا مشارك لك فيها ولا فى غيرها
ومن أعطاه خالقه من يخلقه ثم ان أخاه من شدة غيظه مات كمدا وقال
أصحاب الاخبار والسير ان السلطان الغورى صاحب القبة المعروفة بقبة الغورى
بمصر القاهرة فى أثناء بنائها ذهب اليها متفرجا وكان فى أصبعه خاتم من الجواهر
النفيسة اشتراه بمبلغ عظيم وبملاحظته اياها رأى بها عيبا فأشار بيده ليصلحوه فسقط
الخاتم من أصبعه ففتشوا عليه مدة وغربلوا عليه جميع الحصى فما وجده ثم بعد ذلك
أتى الى الملك كتاب من اسكندرية مذكور فيه أما بعد فقد ورد علينا رجل من
الحجازيين ومعه بضايع وقد أحصينا ما يؤخذ عليها الديوان فوجدناه نحو اثنى عن خمسمائة
ألف دينار فتعجب لذلك الملك وقال لهم فى الجواب ارسلوا هذا الرجل حتى أنظره فلما
حضر عنده رآه رجلا حجازيا لابسا قفطانا بدون أكمام وطاقية حجازية فزاد عجبه وقال له
من أين أوتيت هذا المال وكم من سنة عمرك حتى جمعته أم ورثته عن أبيك قال
لا ياسيدى ولكنى رجل مسعد اذا أمسكت التراب بيدى يصير ذهبا وكبش كبشة
من التراب بيده وفتحها فاذا فيها خاتم الملك الذى بحثوا عنه مدة وما وجدوه فتحير فكر
الملك ومكث ساعة يتفكر كيف كان ذلك ثم قال له انى تركت لك ما هو مطلوب منك
على بضائعك فقال له اذا كنت فى أقل من ساعة قد اكتسبت خمسمائة ألف دينار
فكيف كانت مدة عمرى كلها ثم انصرف وقال الثورى رحمه الله تعالى لئن أخلف
عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من ان احتاج الى لئيم وفى هذا المعنى
قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطى * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من ذلة * يرى عزيز القوم فيه ذليل

(وقال آخر)

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر)

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وحكى) ان أحد التجار كان ذا مال كثير وكان له ولد مسرف وكان والده ينهاه عن الاسراف ويأمره بالمحافظة على المال وهو معرض عن مقاله ومقبل على ما هو فيه من اتلاف ماله فبينما هو ذات يوم يلاحظ مخازنه اذ وجدها فارغة فتعجب وأحضر ولده وسأله عن ذلك فلم ينكر منه شيأ وأخبره انه صرفهم على أصحابه فقال هل يساعدونك أصحابك اذا افتقرت قال ثم أدناهم فضلا عن أعلاهم فقال أريد أمتحن أصحابك قال بلى فلما كان بعض أيام أتى به الى موضع سوق فيه ناس كثيرون وقلعه جميع ما عليه من الثياب وضربه ضربا وجيعا وقال اذهب الى أحبائك فتوجه الى بعض أعزائه وأعظم خلانه فلما عاينه صاحبه فى تلك الحالة حول وجهه عنه ثم قال له ماذا دهاك وأى شئ أصابك حتى صرت هكذا قال ان أبى قد وجد مخازنه فارغة فسألنى عنها فقلت له انى صرفتها وقد ندمت ورجعت فلم يقبل منى شيأ وضربنى وطردنى وفعل بى كما ترى قال له وما تريد الآن قال كسوة أستر بها عورتى قال كان عندى بعض من الدراهم وصرفتها والآن لم يكن عندى شئ أثمن غيرى فذهب الى آخر فقال كالاول وصار على ذلك من واحد الى الثانى حتى مضى النهار ولم ير من أعطاه شيأ ولا ألان له قولا فرجع الى أبيه واعلمه بذلك وقد قيل فى المعنى شعر

مررت على المروءة وهى تبكى * فقلت على م تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكى وأهلى * جميعا دون خلق الله ماتوا

ثم ان أباه قال له سأريك الاصحاب كيف تكون وان لى صاحبا ونصف صاحب ثم توجه

الى الحاكم فى بيته وكان حبيبه فقال له أريد أن أمتحن أصحاب فانى لم أر صاحبا فى الدنيا قط قال له دونك وما تطلب قال أرجو منك ان ترسل لى غدا أربعة من أعوانك يأخذونى مكتوفا الى أن يوصلونى عندك وكل من سألهم عن ذلك يقولون له انه قتل قتيلا فاجابه الحاكم على ذلك ثم لما كان فى اليوم الثانى ذهبت اليه الاعوان وأخذوه مكتوفا ومروا به على نصف صاحبه فلما رآه ذهب معه الى الحاكم وقال له ما تكون قصة هذا الشخص قال انه قتل قتيلا فقال ألم يرضوا أصحاب القتيل ان يأخذوا ديته ويتركوه قال الحاكم أى شئ تريد أن تفديه به قال أفديه بجميع ما أمتلك من مال وعقار قال الحاكم انى عرضت عليهم الدية فأبوها ثم قام نحو صاحبه واعتذر له وقال له انى فديتك بجميع ما أملكه فلم يقبل منى شيأ فقال له جزيت عنى خيرا ثم انهم أخذوه وذهبوا به ليقتلوه فمروا به على صاحبه الكامل فلما رآه صاحبه فى هذه الحالة هام نحوه وقبض على ما هو مكتوف به من السلاسل ولم يترك الاعوان ان يتحركوا من مكانهم حتى سألهم عن السبب فقالوا انه قتل قتيلا ونحن ذاهبون به لنقتله عوضا عنه فقال ما قتل القتيل غيرى وانه متهم ولم يمكن أحدان يزحزحه عن مقالته ثم انهم عادوا به الى الحاكم وأعلموه بذلك وقد أحضر الحاكم بعضا من الناس وجعلهم أهلا للقتيل فلما رأوا هؤلاء ذلك قالوا قد عفونا عنه وقال الحاكم قد عفوت عنه أيضا فذهبا الى سبيلهما واتعظ ولده وصار عاقلا لا يفرط فى ماله ثم قيل فى المعنى شعر

ان أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(الباب الحادى عشر فى الشباب والصحة والعافية)

قال بعض البلغاء

الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكبر الوسائل لقلوبهن قال الشاعر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشيا من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أنى الحياة يكون العظم حشوفمى

(وقال آخر)

قالت أرى مسكة الخد الندى غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فيه * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذا بدا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر)

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي ويا بصر
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكثر الغش حتى صار في الشعر

وقد قيل ان أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وروي من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وقال بزرجمهر نصحتني النصحاء ووعظني الوعاظ فلم يعظني مثل شيبتي ولم ينصحني مثل فكرتي ولم أرعد وامثل نفسي اذا جهلت ولا موقعا مثل لساني اذا غلطت ولا محرقا لي مثل غضبي اذا تمكن مني وأكلت الطيب وشربت الشراب وتنعمت فلم أر لذة من العافية والامن وقال ابن نباتة

تبسم الشيب في وجه الفتى * يوجب شم الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال آخر)

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأي وطاء وأي غطاء وقال حكيم ان كان شيء فوق الحياة فالصحة وان كان شيء مثل الحياة فالغنى وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء مثل الموت فالفقر وقال علي رضي الله عنه ما المبتلى الذي اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء وقيل في المعنى شعر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يأذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ها هنا اذهبي معي الى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت التي

كانت

كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فخطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا الا ان العافية والفقر أحب الى من غناء يكون فيه الموت وقد أوجد الباري جلت قدرته فى الأسد من العافية والقوة مالم توجد فى أفراد جميع الحيوان حتى انه يكون فى أسفل الدار فيتناول البقرة العظيمة ويرمى بها الى أعلى سطحها ثم يناقفها من سمع صوته ليلا بالبيداء يظن انه رعد وذلك لشدة بأسه وما انهزم من أحد أبدا ولا يعتدى الا على من يعتدى عليه وحكى ان أحد الملوك كان يحب النزاهة وكان محتويا على أغلب الحيوانات المفترسة وغيرها مثل الاسود والضباع والفيلة والقمرى والهزار والبلبل وما أشبه ذلك وفى بعض الأيام حضر بمجلسه شخص ومعه كلب عظيم ذو قوة وبأس شديد فتذاكروا أنواع الحيوانات فقال صاحبه كلبى هذا لا يغلبه سبع ولا أعظم السباع فقال الملك السبع سبع وان صغر والكلب كلب وان كبر فقال صاحب الكلب ان صغرا وكبرا لا يمكنه ان يغلب كلبى هذا وعندك من السباع الكبير والصغير فان غلبه واحد منهم فأنا أعطيك مائتى دينار وان غلبه كلبى فآخذ منك مائتى دينار فأجابه الملك على ذلك وجعل له يوما معينا فاجتمعت الناس لذلك وحضر صاحب الكلب مع كلبه أيضا فقال الملك لبعض خدمه ائتنى بسبع صغير فأحضر السباع سبعا صغيرا جدا وقد عملوا حلقة من خشب لتقف الناس خارجا عنها فلما أطلقه من سلاسله جاء الى وسط الحلقة ونام وما اكترث بذلك ثم ان صاحب الكلب أشار له أن يفترس السبع فذهب نحوه وضربه ضربة عظيمة وعاد الى صاحبه فسلطه عليه مرة أخرى فسار اليه وصفعه صفعة بليغة فظنت الناس ان السبع لم يتحرك لعدم قدرته عليه ولما رأى منه من الشدة والبأس ثم ان صاحب الكلب لما حرض كلبه على الاسد مرة ثالثة وانعطف الكلب نحو الاسد ليصفعه كعادته فيما سبق تحرك الاسد واعتدل على ركبته وتناول الكلب من يد ورجل ورجل ويد وجذب كلا منهم بيد جذبة لطيفة ففصل كل اثنين معا وعاد عمل اليدين سواء والرجلين معا ومزقهم فصاروا الكل أربعة فصول فألقى كل فصل منهم فى جهة من الجهات الاربع واحدا بالصين وآخر بالديور وآخر بالجنوب والآخر بالشمال وكلاهم خرج من يده يدوى كدوى الشجر اذا حركته الرياح وعاد الاسد موضعه كما كان

فأتى الخادم ووصله الى محله وباء صاحب الكلب بالخسارة ودفع لذى السبع درهمه ودينار

(الباب الثانى عشر فى النوادر الغريبة وأشياء أخر)

حكى ان أحد علماء الروم أتى الى مصر ليمتحن علماءها فى بعض مسائل فلما حضر وذكر ذلك للملك أعلم العلماء به وكان للعلماء رجل بياع بطيخ فقال لهم أنا أناظر هذا الرجل فى مسائله ولكن اعطونى هيئة مثلكم فاعطوه تلك وسبقوه عند الملك ثم انه ركب البغلة وصار مع الخادم حتى وصل الى دار الملك فلما دخل على العلماء قامت له وأجلسوه على يمين العالم الرومى فلما استقر بهم المجلس قال العالم الرومى أريد أن أسألكم مسئلة واحدة وتجاوبونى جوابا واحدا قال بياع البطيخ سل عما شئت قال الشيخ هل الحمل الذى يتولد من الانسان من الثوب أم من البدن فاعتدل له بياع البطيخ بكف كالرحى وصفعه على قفاه صفعة فقال لم فعلت ذلك قال لان هذه المسئلة لا يمكن ردها الا بواسطة هذه الصفعة قال وكيف ذلك قال اما سمعت قرقعة الكف قال ثم قال أهى من كفى أم من قفاك قال من بين هذا وهذا قال له كذلك الحمل يتولد من بين هذا وهذا ثم قاموا وولى الرجل هاربا الى بلده من علماء مصر وعزم ان لا يرجع اليها أبدا وأتى آخر أعجمى الى مصر لاجل امتحان علمائها فحضرت العلماء بمجلس الامير ومعهم رجل عطار يقال له النحوى فقال العالم العجمى من الذى يتعرض لسؤالى أو لرد جوابى فتقدم العطار وقال له سل عما شئت فقال الشيخ أتعلمت علم التوحيد أم الفقه أم الاصول أم كذا أم كذا أم علم التصريف فقال أتسألنى عن علم التصريف الصغير أم الكبير قال وما هو الصغير والكبير قال الصغير مثل قال أصلها قول تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصارت قال وأما علم التصريف الكبير فمثل كان أصلها كانون ألقاها ريح التعريف فى بحر التصريف فهاجت وماجت واضطربت ثم قذفت الامواج منها النون على الساحل فتبعتها الواو فصارت كان فقال فى نفسه هذا العلم ما ورد علىّ قط ولا بد ان تتعلمه فقال آما تعلمنى هذا وتأخذ شيخى قال له اذهب الى حلقة الدرس كأمثالك ثم تركوه وقاموا ومن عجائب ما حكاه القزوينى عن بعض البحريين ان الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار

قاقاموا

فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها أصواتا وهمهمة وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين وكانا من أحسن خلق الله خلقة وخلقا وأسودهم شعرا وأجملهم وجها فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهوى وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعض أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها درة فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار بسبب ذلك وحكي ان رجلا ادعى النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد بلحى الساعة فأطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال كيف يحل ان أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفى عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فظا البوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال اطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت قالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل في زمن المأمون أيضا وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدا أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقي عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال أحي الموتى قال مكانك قد وصلت أن أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة قال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال امهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله

تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام مايخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر
أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه
قال له من أنت قال أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به
وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه
وخلى سبيله وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال
والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم
مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ *(لطيفة)* فى فضل قارئ القرآن حكى
ان رجلا مقابرياً عند موته وصى ولده ان لا يفتح تربته وصفها له وقال اذا رزقت ولدا
أوصه كذلك فصار وايوصى بعضهم بعضا الى خمسة أجيال فأتى طاعون فضاقت
المقابر فتذكر الرجل الاخير هذه التربة الموصى بعدم فتحها ففتحها فوجد
بناها قد عافلما نزل فيها وجد شخصا أمامه مصحف وهو يقرأ فيه وبجانبه
ركوة ماء فلما نظره جزع منه فقال له أما أوصيت بعدم فتح هذه التربة قال نعم
قال ولما خالفت العهود قال لا تؤاخذنى والعفو من شيم الكرام قال عفوت
عنك ولكن ان أخبرت أحدا بى فاعلم انك ستقتل فى الحين وناوله الركوة فتأخر
عن أخذها فقال له لابد من شربك منها فلما شرب منها فلم ير شيأ أحلى منه قط وشرب
حتى اكتفى وردها له وأعاد التراب كما كان وما شرب بعدها ماء قط ولم يخبر بذلك
أحدا مدة من الايام ففى بعض السنين ذهب الى وليمة وكانت فى شهر رمضان وكان
ذلك اليوم شديد الحر فحين ما أذن بالمغرب تناول كل من الحاضرين الماء وشرب وهذا
الرجل لم يشرب فتعجبوا وسألوه وعادوا السؤال عليه فأخبرهم بالقصة فقضى عليه فى
وقتها وقيل ان من أعظم ما اتفق ان أحد تجار مصر المعتبرين كان كلما يقرئ أحدا
السلام يزله رأسه دون تلفظه بشئ وفعل ذلك مرارا مع أحد البيكوات فتكان البيك
كلما يفعل معه التاجر ذلك يضع يده تحت ذقنه ويشير له كمثل من يقول لا أفعل
فلاحظ منه التاجر ذلك ثم فى بعض الايام أقرأه السلام كحسب عادته ففعل البيك معه
كما سبق فتقدم التاجر وقال للبيك لماذا كلما أقرئك السلام تضع يدك تحت ذقنك
وتشير مثل هذا فنهض البيك على قدميه وقال للتاجر أنت تقرئنى السلام قال نعم
قال أرجو منك عدم المؤاخذة لانه لعدم افشائك السلام كنت أظن أنك تقول لى

نا طحنى فأقول لك لا أعرف ولا يمكن ذا أبدا والآن قد فهمت فضحك التاجر من ذلك وترك
عادته ووقع وباء عظيم بالبهائم بمصر فوجد رجل من ذوى الشيرة يبكى فسئل عن
بكائه فزاد انتحابه واشتد نعيه ثم قال أما ترون ذلك الطاعون قالوا وما يضرك ألك
بهائم تخشى موتهم قال لا ولكن أعظم من ذلك ما هو أهم لى ولكم قالوا وما هو قال
أخشى ان تصيب الثور المحتمل للدنيا فيلقيها فتهدم ويموت كل من عليها فلما سمعوا
ذلك أجابوه بالسكوت وانصرفوا عنه وحكى ان أحد الملوك كان متنكرا يوما فسمع
من يقول للآخر يا نصاب فتعجب من ذلك ولما وصل الى منزله قال لاحد وزرائه أريد
أن تأتينى باحد النصابين لكى أرى كيفية النصب فانطلق الوزير من وقته وساعته
وأحضر شخصا نصابا معتقا فى النصب فقال الملك أيها الرجل أتعرف النصب قال نعم
ياسيدى هى صناعتى توارثتها عن أبى وجدى قال وما كيفيتها قال أتريد كيفيتها
بدون أدواتها وآلاتها وعددها ودواليبها وما يلزم لها من الحزم والعبيد وما أشبه ذلك
فاندهش الملك مما سمع واشتاق لرؤيتها زيادة عما كان عليه أولا ثم قال وأين يوجد
ذلك قال اعطنى سبعة آلاف دينار وأنا أحضرها الى هنا بعد جمعة بدون تعب
ولا مشقة فامر له بذلك القدر فاخذه وانصرف ثم مضى الميعاد المذكور ولم يحضر فسأل
عنه الملك فحضروه له فقال له أينما وعدتنى به قال قد حصل عجز فى ألفى دينار وخشيت
ان أطلبهم من سعادتك فامر له بالفى دينار ثم بعد جمعة أخرى حضره وطلب منه ذلك
فقال ان كل ما يلزم لذلك قد حضرته ولكن كنت قد نسيت عامودا من العواميد الاربع
وثمنه ألف دينار فقط فاعطاه ألف دينار وأوعده بثلاثة أيام ولما مضى ذلك الميعاد
طلبه الملك وقال يا أيها الرجل أين النصب قال ياسيدى أغير هذا يكون نصبا أم تريد
النصب الكبير فضحك منه الملك وقال له يكفينى ذلك (ومن أخبار الكهنة قصة
سطيح) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت فأخبره بما جاء لاجله وذلك ان
الموبذين رأيا بلاصعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما
أصبحا أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى ان لا يكتم ذلك عن وزرائه
ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته
وأخبرهم الخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاج الايوان
فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى

رجلا عالما بما أريد ان أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح القسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه له فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارق الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه وائتنى بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرة التلاوة وفاض وادى سماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما ير تفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم قد اقترب يملك منهم ملوكا وملوكات بعدد الشرافات وكلما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فسار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك وحكى أن العادل كسرى أنوشروان أرسل اليه رسول من عند قيصر ملك الشام والروم فلما وصل اليه ورأى عظمة الايوان وعظمة مجلس كسرى على كرسيه والملوك فى خدمته وميز الايوان فرأى فيه أعوجاجا فى بعض جوانبه فسأل الترجمان عن ذلك فقيل ذلك بيت لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الايوان فلم يرملك الزمان اكراهها على البيع فأبقى بيتها فى جانب الايوان فذلك ما رأيت وسألت فقال الرومى وحق دينه ان هذا الذى فعله ملك الزمان لم يؤرخ فيما مضى لملك ولا يؤرخ فيما بقى لملك فاعجب كسرى كلامه وأنعم عليه وردمسرورا مجبورا وكان يقول خير الكنوز معروف أودعته الاحرار وعلم توارثته الاعقاب وأطول الناس عمرا من كثر علمه فانتفع به من بعده ولما ملك الاسكندر فارس والمغرب والشام وبنى اسكندرية ودمشق وغيرهما وأحاديثه طويلة ارتحل نحو الهند والسند والصين فوطئ أرضها وذلل ملوكها وأهديت اليه الهدايا من الترك والتبت وغيرهم الى أن انتهى مطلع الشمس من العمران وكان معلمه ارسطاطاليس فبلغه ان بأقصى الهند ملك عادل من ملوكهم وهو ذو حكمة وديانة وسياسة وقد أتى عليه مدد من السنين وهو قاهر لطبيعته ميت لشهوات نفسه يتجمل بكل خلق كريم

ويظهر بكل فعل جميل فكتب اليه الاسكندر يقول اذا اتاك كتابي هذا فلا تقعد ولو كنت ماشيا حتى تأتني والا مزقت ملكك والحقتك بمن مضى فلما ورد الكتاب على ملك الهند كتب جواب الاسكندر باحسن خطاب والطف جواب ولقبه بملك من الملوك العادلة وأعلم الاسكندر في جوابه أنه قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند ملك من ملوك الدنيا من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورة وهيئة منها ومنها فيلسوف يخبرك عن مرادك من قبل ان تسأله ومنها طبيب لا تخشى معه من الادواء والامراض والعوارض الا ماجاء من قبل الموت ومنها قدح اذا ملاته شرب منه عسكرك بجميعه ولا ينقص من القدح شيء واني مهد جميع ذلك الى ملك الملوك وصائر اليه قال فلما قرأ الاسكندر جوابه وسمع بذكر هذه الاشياء قلق اليها قلقا عظيما فارسل اليه جماعة من الحكماء ان يثنوه عليه ان كان كاذبا وان يخبروه في المقام ان كان صادقا ويأتوه بهذه الاربع فمضى القوم الى ملك الهند فتلقاهم أحسن لقاء وأنزلهم أرحب منزل وأكرمهم أعظم اكرام مدة ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلسا خاصا وأقبل على الحكماء وباحثهم في أصول الحكمة والفلسفة والعلم الالهي والمباذ الاول والهيئة والارض ومساحتها والبحار وغيرها حتى ملأ صدورهم من العلم والحكمة ثم أخرج ابنته اليهم وأبرزها عليهم فلم يقع أحدهم على عضو من أعضائها فأمكنه أن يتعدى ببصره عن ذلك العضو الى غيره وشغله تأمل ذلك العضو وحسن تخطيطه واتقان صنعه فخافوا على عقولهم الزوال ثم رجعوا الى نفوسهم عند ستورها وقد اندهشوا وسير صحبتهم القدح والطبيب والفيلسوف وودعهم مسافة من الارض بعد أن خيروه في المقام فلما ورد ذلك على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف في دار الضيافة والاكرام ونظر الى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها وشغف بها وكان الاسكندر اذ ذاك ابن خمسة وعشرين سنة وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا وأكثر الملوك انصافا وعدلا وأغزر الخلق معرفة وحكمة وأعظم الملوك هيبة وصيتا فامر القيمة باكرامها واحترامها وتعظيمها وتقديمها على سائر حرمه وأهله ثم قصت الحكماء ما جرى بينهم وبين ملك الهند من المباحث فأعجب الاسكندر وامتحن القدح بان ملاه ماء فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء وسير في الحال الى الفيلسوف يمتحنه فيما قيل عنه بانا مملوء من السمن بحيث لا يمكن أن يزاد فيه شيء وقال للرسول

سير به الى الفيلسوف وضعه بين يديه ولا تخبره بشيء أصلا فلما وصل به وضعه بين يديه ووقف ولم يكلمه فأخذه فيلسوف بيده ونظره وتأمله بايقاد بصيرته فأخذ ابرا صغارا كثيرة وغرزها في السمن حتى بقي وجه السمن كالقنفذ وسيرها الى الاسكندر فلما رآها الاسكندر ووقف عليها حرك رأسه ثم أمر فجعل من الابركرة حديد وسيرها الى الفيلسوف فلما وقف الفيلسوف عليها ضرب منها مرآة مصقولة تردد صورة من تأملها من الاشخاص لشدة تلالئها وصفائها وأمر بردها الى الاسكندر فجعلها الاسكندر في طست فيه ماء وسيرها الى الفيلسوف فلما نظرها الفيلسوف جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء وسيرها الى الاسكندر فلما رآها الاسكندر ثقبها وملاها ترابا وردها الى الفيلسوف فلما رآها الفيلسوف تغير لونه ودمعت عينه وسيرها الى الاسكندر على حالها من غير أن يحدث في التراب حادثة قال فلما كان من الغد جلس الاسكندر جلوسا خاصا وأمر باحضار الفيلسوف فلما أقبل نحو الاسكندر رآه الاسكندر شابا حسنا كاحسن الناس فتعجب من حسنه وهيئته فحط الفيلسوف يده على أنفه ثم أتى بتحية الملوك فاشار الاسكندر اليه بالجلوس على كرسي وضعه له بين يديه فجلس حيث أمره ثم قال له الاسكندر ما بالك لما نظرت اليك وضعت أصبعك على أنفك فقال أيها الملك المعظم دام لك الملك والنعم لما نظرت الى استحسنت صورتي وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته فوضعت أصبعي على أنفي أخبر الملك أنه ليس في الهند مثلي فقال صدقت قد خطر ذلك بخاطري ثم قال له الاسكندر يا رئيس لحدثني بما كان بيني وبينك من الرسائل فقال أيها الملك أرسلت الي بانا مملوء من سمن لا يمكن أن يزاد فيه تخبرني انك قد امتلات من الحكم فلا يمكن أن يزاد على حكمتك شيء فاخبرتك ان عندي من دقائق الحكم ولطائفها ما ينفذ في حكمتك كما نفذت الابر في السمن ثم أرسلت الي بالابركرة فاخبرتني ان نفسك قد علاها من وسخ الصدا بقتل الاعداء وسفك الدماء ما قد علا هذه الكرة فاخبرتك ان عندي من الحيلة واللطافة ما تجعل نفسك مثل صفاء هذه المرآة حتى تشرق على الموجودات ثم أعلمتني بالطست والماء ان الايام والليالي قد قصرت عن ذلك فأخبرتك اني سأعمل في الحيلة على ايصالك الى العلم الكثير في العمر القصير كما شرفت الحديد الذي من طبعه الرسوب في الماء على وجه الماء فثقبت المقعرة وملأته ترابا تخبرني بالموت والقبر

فلم أغيره مخبرا للملك ان لا حيلة فى الموت فتعجب الاسكندر وقال والله ما غادر ما خطر بخاطرى ثم أمر له بخلع وأموال كثيرة فأبى وقال أنا راغب فيما يزيد فى عقلى فكيف أدخل على عقلى ما ينقصه أيها الملك أحسن الى أهل الهند وكف عن معارضتهم وقيل ان القدح الذى شرب منه عسكر الاسكندر وما نقص منه شئ هو قدح آدم أبى البشر عليه السلام معمول من ضرب الحواص والروطانية وشاهد من الطيب من لطائف صنائعه ما بهر عقله ومن عجائب علاجه وتلطفه فى ازالة الآفات والادواء وقيل مر ببابل فأخبر عن عارهنالك وبه آثارات عظيمة فأتاه ووقف على بابه فاذا عليه مكتوب بالسريانى يا من نال المنى وأمن الفنا وقد وصل الى هنا اقرأ وافتكر وادخل الى الغار واعتبر واعلم انى قد ملكت البلاد وحكمت على العباد وما نلت من الدنيا المراد قال فدخل الاسكندر الغار وقد أسبل الدموع الغزار فوجد شخصا عظم الهامه طويل القامه على سرير من الذهب ملقى وقد ترك جميع ما ملك وألقى يده اليمنى مقبوضة والاخرى مفتوحة ومفاتيح خزائنه عند رأسه مطروحة وعلى يمينه لوح مكتوب فيه جمعنا المال وأمكناه وعلى شماله لوح مكتوب فيه ثم رحنا وتركناه وعند رأسه لوح مكتوب فيه شعر

لقد عمرت فى زمن سعيد * وكنت من الحوادث فى أمان
وقاربت الثريا فى علو * فصرت على السرير كما ترانى

فقال الاسكندر فسبحان الملك الذى لا عزل له ووقع فى قلبه الوجل والوله فترك كل ما كان له وتخلى للعبادة وأصلح عمله وفرق الذخائر والخزائن وتصدق بماله فى الحصون والمدائن وعتق العبيد والخدم وانتصب لعبادة الله على أحسن قدم وقال أعزل نفسى قبل العزل وأحاسبها قبل حساب يوم الفصل ولبس الخشن أو المسوح رغبة فى ملك الابد والثواب الممنوع وجرح نفسه بسكين الجوى حتى عرضت عن مهاوى الهوى لما وجد فى الغار الدوا وترك لما حاز واحتوى واعتزل اللهو وانزوى ولبساط الرغبة طوى ولسان حاله ينشد لما تم له راستوى شعر

دع الهوى فآفة العقل الهوى * ومنتهى الوصل صدود ونوى
وراقب الله فأنت راحل * الى الثرى ومعظم العمر انطوى
ما ينفع الانسان بعد موته * ما حاز من أمواله وما احتوى
يقسمها ورثه برغمه * وهو بنا رائمها قد اكتوى

تب قبل شيب الرأس فالتائب لا * يتبع شيب رأسه الا بالتوى
مادام فى العمر أخضرار عوده * سهل وصعب عوده اذ ذوى
اذا أضيع أول العمر ابت * اعجازه الا اعوجاجا والتوى

قيل ورجع الاسكندر من بابل وقد أحاطت به البلابل وظهرت به آثار السقام حتى ثقل لسانه بالكلام وكان قد رأى فى منامه وطيب لذيذ أحلامه انه سيموت فوق أرض من حديد وتحت سماء من حديد ثم أخذه التعطش والحماوالتلهب والظما ففرشوا تحته دروع الحديد وظللوا فوقه بالجف الغولاد استحلابا للتبريد فافاق بعد زمان من الغشوة واللهف فرأى دروع الحديد تحته وفوقه الجحف فايقن بارتحاله وكتب كتابا الى أمه بصورة حاله وأوصاها بان تعمل له وليمة عجيبة الاسلوب وان لايحضرها الامن لا أصيب بخليل ولا محبوب فلما مات رحمه الله وضع فى تابوت من ذهب ليحمل الى أمه الى الاسكندرية واجتمعت له هذه النعم وعمره ستة وثلاثون سنة وكان مدة ملكه تسع سنين فقال حكيم الحكماء ليتكلم كل منكم بكلام ليكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام أحدهم وقال لقد أصبح مستأسرا الملوك أسيرا وقال آخر هذا الاسكندر كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبئه وقال آخر العجب كل العجب ان القوى قد غلب والضعفاء مفترون وقال آخر قد كنت لنا واعظا ولا واعظ أبلغ من وفاتك وقال آخر رب هائب لك لا يقدر ان يذكرك سرا وهو الآن لا يخافك جهرا وقال آخر يامن ضاقت عليه الارض فى طولها والعرض ليت شعرى كيف حالك فى قدر طولك وقال آخر منهم يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك وقال آخر مالك لا تحرك عضوا من أعضائك وقد كنت تزلزل الارض فلما ورد على امه فى التابوت شرعت فى عمل الوليمة وهيأت المآكل والمطاعم ونادت لا يحضر الوليمة الامن لا فجع فى الدنيا بمحبوب ولا خليل فلم يحضر الوليمة أحد فقالت ما بال الناس لا يحضرون الوليمة قالوا أنت منعتيهم من الحضور قالت كيف ذلك قيل لها قد أمرت ان لا يحضرها من فقد محبوبا ولا من فجع بخليل وليس فى الناس أحد الا وقد أصيب بذلك مرارا فلما سمعت بذلك خف ما بها من الحزن وتسلت بعض تسلية وقالت رحم الله ولدى لقد عزانى بأحسن تعزية وسلانى بالطف تسلية فينبغى للفطن الذكى العاقل النبيه الذى عن الامور غير متغافل * ان يراعى ما نصه التنزيل والخبر وسلكه ذوو البصائر والنظر من حقوق الخلق والخالق

ويحاسب نفسه فى السعة قبل الضيق بل قيل ان حق المولى عز وجل مبنى على المسامحة وحق العبد نهايته المشاحة * وروى ان الله عز وجل قال لداود عليه السلام يا داود أنا الرب الودود أعامل الذرية بما فعل الجدود وروى أيضا ان موسى عليه السلام قال فى مناجاته لربه عز وجل يارب أرنى عدلك وانصافك فقال الله عز وجل يا موسى أنت رجل حادجرى * لا تقدر ان تصبر فقال يارب أصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية واختف بأذائها وانظر قدرتى وعلمى بالغيوب فذهب واختفى كما أمره ثم بعد ساعة وصل الى تلك العين فارس ومعه هميان فيه جملة من الدنانير فوضعه جانبه وصلى ركعتين ثم نسيه وذهب فجاء صبى فشرب وأخذ الهميان وانسل ثم أتى رجل أعمى توضأ وتهيأ للصلاة فتذكر الفارس هميانه فعاد سريعا الى العين فوجد الاعمى فسأله عن هميانه فقال لا أدرى فلم عليه السؤال فقال ما رأيته فجرد الفارس سيفه وضربه فقتله ثم فتشه فما وجد معه شيأ فتركه مقتولا وتوجه فقال موسى عليه السلام الهى نفد صبرى وأنت عادل فعرفنى كيف هذه الاحوال فقال له المولى على لسان جبريل عليه السلام أما الصغير الذى أخذ الهميان فانه أخذ حقه وملكه وكان أبو هذا الصبى أجير الذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر ما فى ذلك الهميان فالآن وصل حق الصبى اليه وأما ذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل أبا ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل حق الى أهله وعدلنا وانصافنا دقيق كما ترى فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر (وحكى) ان صيادا هلك من بنى اسرائيل اصطاد فى يوم سمكة عظيمة ففرح بها وقال ثمن هذه السمكة يكفينى وعيالى مدة من الزمان وتوجه فبينما هو ذاهب فى الطريق اذ صادفه بعض العوانية فطلب منه شرائها فأبى الصياد بيعها لخوفه بخس ثمنها فلما رأى منه العوانى ذلك الاستنكار أخذها منه بالقهر والاستحقار وتوجه الى منزله ثم ان الصياد دعى عليه وقال الهى خلقتنى مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذلى بحقى منه فى هذه الدنيا فما أصبر الى الآخرة الهى لست غائبا فارتجيك ولا غافلا فأنبهك ولا نائما فأوقظك ولا عاجزا فامهلك أسألك بقدرتك الباهرة * ان تخلص لى حقى بسطوتك القاهرة وذهب الى حال سبيله ثم ان العوانى لما أخذ السمكة وذهب بها الى منزله وشواها ووضعها ليأكل منها فتحت فاها ولكزته فى أصبعه فآلمه ذلك ألما شديدا وما استقر له قرار ولا تمكن منه مكان الا ان ذهب الى الطبيب وعرض عليه حاله الغريب فلم ير الطبيب الا قطع ذلك الاصبع والا يسرى السم فى يده

فتلفها كلها فقطعه وفى الحال سرى السم فى كفه فقطعه والذراع فقطعه ثم سرى الى كتفه فخرج هائما لا يدرى أين هو ذاهب فوجد شجرة فتظلل بها فنام تحتها وما نام مدة فرأى فى نومه من يقول له تنبه يا غافل وارض خصمك صاحب السمكة والا تقطع جسدك قطعة بعد قطعة فلما استيقظ من نومه صار يبحث على صاحب السمكة حتى وجده ثم أرضاه فسامحه الصياد وذهب العوانى الى منزله فنام تلك الليلة ثم أصبح وقد ردت يده كما كانت وقد قيل فى المعنى شعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

والله أعلم

﴿الخاتمة فى معرفة زيادة النهار ونقصانه فى جميع أيام السنة بالقطر المصرى﴾

اعلم وفقك الله ان السنة اثنى عشر شهرا وهى توت وبابه وهاتور وكيهك وطوبى وأمشير وبرمهات وبرمودة وبشنس وبؤنه وأبيب ومسرى وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما ثم ستة أيام أو خمسة أيام زيادة على ذلك ثم أربعة فصول وهم الربيع والصيف والخريف والشتاء وعدة كل فصل ثلاثة وتسعون يوما الا فصل الخريف والشتاء فعدة كل واحد منهما تسعون يوما وأيام فصل الربيع ثالث عشر برمهات وحينئذ يكون النهار والليل متساويين أعنى من الشروق الى الغروب اثنى عشر ساعة ومن الغروب الى الشروق اثنى عشر ساعة ومن هنا يزيد النهار كل يوم دقيقتين تقريبا الى غاية ثلاثة عشر برمودة ويكون زيادة النهار عن الليل ستين دقيقة ثم يزيد كل يوم دقيقة ونصف الى غاية أربعة عشر بشنس وتكون الزيادة ٤٥ دقيقة ثم يزيد كل يوم نصف دقيقة الى غاية ١٥ توت فيكون قدر الزيادة ربع ساعة وهنا انتهاء زيادة النهار وغاية نقصان الليل فحينئذ يكون النهار ١٤ ساعة والليل ١٠ ساعات أول فصل الصيف ١٦ توت فيبتدئ الليل فى الزيادة كل ليلة نصف دقيقة الى غاية ١٦ أبيب وتكون زيادة الليل ربع ساعة ثم يزيد الليل أيضا كل ليلة دقيقة ونصفا الى غاية ١٧ مسرى وتكون الزيادة ٤٥ دقيقة ثم زيادة الليل كل ليلة دقيقتان الى غاية ٢ توت وهى ساعة وتدخل هنا الستة أيام الزوائد ويكون مجموع زيادة الليل ساعتين وهو محل تساوى الليل والنهار وابتداء

فصل

فصل الخريف ١٣ توت فتكون زيادة الليل فيه كل ليلة دقيقتين أيضا الى غاية ١٢ بابه فتكون الزيادة ساعة ثم يزيد الليل كل ليلة دقيقة ونصفا الى غاية ١٢ هاتور والحاصل ٤٥ دقيقة ثم يزيد الليل بعد ذلك كل ليلة نصف دقيقة الى غاية ١٢ كيهك فالزيادة ربع ساعة وهنا يكون غاية زيادة الليل وانتهاء نقصان النهار فيكون الليل حينئذ ١٤ ساعة والنهار ١٠ ساعات *مدخل فصل الشتا ١٣ كيهك ومن هنا يبتدئ النهار فى الزيادة كل يوم نصف دقيقة الى غاية ١٢ طوبة فالزيادة ربع ساعة ويزيد النهار أيضا كل يوم دقيقة ونصفا الى غاية ١٢ أمشير وزيادته ٤٥ دقيقة ثم يزيد النهار كل يوم دقيقتين الى غاية ١٢ برمهات وتكون زيادة ذلك الشهر ٦٠ دقيقة وهذا تقريب للمبتدى وهنالك يعتدل الليل والنهار فسبحان موجد الليل فى النهار وموجد النهار فى الليل وجاعلهما خلفة لمن أراد ن يذكر أو أراد شكورا *تنبيه* جرت عادة الميقاتية فى زماننا هذا ان يجعلوا النهار دائما متقدما على الليل ١٢ دقيقة أعنى اذا كان الشروق على ١٠ ساعات مثلا فيجعلوه تسع ساعات و ٤٨ دقيقة واذا كان على ١٤ ساعة فيكون ١٣ ساعة و ٤٨ دقيقة وذلك لاجل تمكن الغروب وقد أمسكت عنان المقال مخافة الاملال فان هذا المجال أوسع من ان يستطال فيه ويقال والمرجو ممن عثر على هفوة أو ظفر من جواد فكرى بكبوة اسبال ذيل المعاذير على ما رآه وتغطيته بلطيف شيمه وسجاياه فان هذا أول ما أفرغ فى غالب لتأليف وما أنا أول جواد جرى فى ميدان التصنيف فان تجد عيبا فسد الخلا لجل من لا به عيب وعلا من الله نستمد التوفيق والهداية لاقوم طريق والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على خير نبي وآل

بعون الله الملك الوهاب منشئ الخلائق ومجرى السحاب قد تم طبع هذا الكتاب المسمى بتحفة أولى الالباب فى مجالس الاحباب المشتمل على أقوال غريبه وأمثال مفرحة عجيبه تأليف العالم العلامه والبحر الفهامه الجامع لمسائلها نوادرها ومصنفها ومدونها الشيخ عبد الفتاح غفر الله له وبلغه أمله وذلك بالمطبعة العامرة العثمانيه التى محل ادارتها مصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه فى أواخر ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيه

﴿فهرست الكتاب الظريف البديع اللطيف المسمى بتحفة أولى الالباب فى مجالس الاحباب﴾

صحيفة

المقدمة فى مديح ذى الطلعة الباهرة والفضل
الجزيل سعادة ولى النعم أفندينا اسماعيل
٤ الباب الاول فى ذكر دقيق المخاطبات
٦ الباب الثانى فى كتابة الشروط ومافى معناها
٧ الباب الثالث فى العقل والذكا
١١ الباب الرابع فى الحمق
١٢ الباب الخامس فى الآداب والحكم
١٧ الباب السادس فى ذم المزاح والامثال السائرة
٢٠ الباب السابع فى الفصاحة
٢٤ الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة
٢٨ الباب التاسع فيما جرى مجرى الامثال والحكم من لطائف الاشعار
٣٤ الباب العاشر فى الغنى والفقر
٣٩ الباب الحادى عشر فى الشباب والصحة والشيب
٤٢ الباب الثانى عشر فى النوادر
الخاتمة فى نكتة تعريف زيادة النهار ونقصانه فى أيام السنة بمصر

﴿تم﴾

obeikandl.com